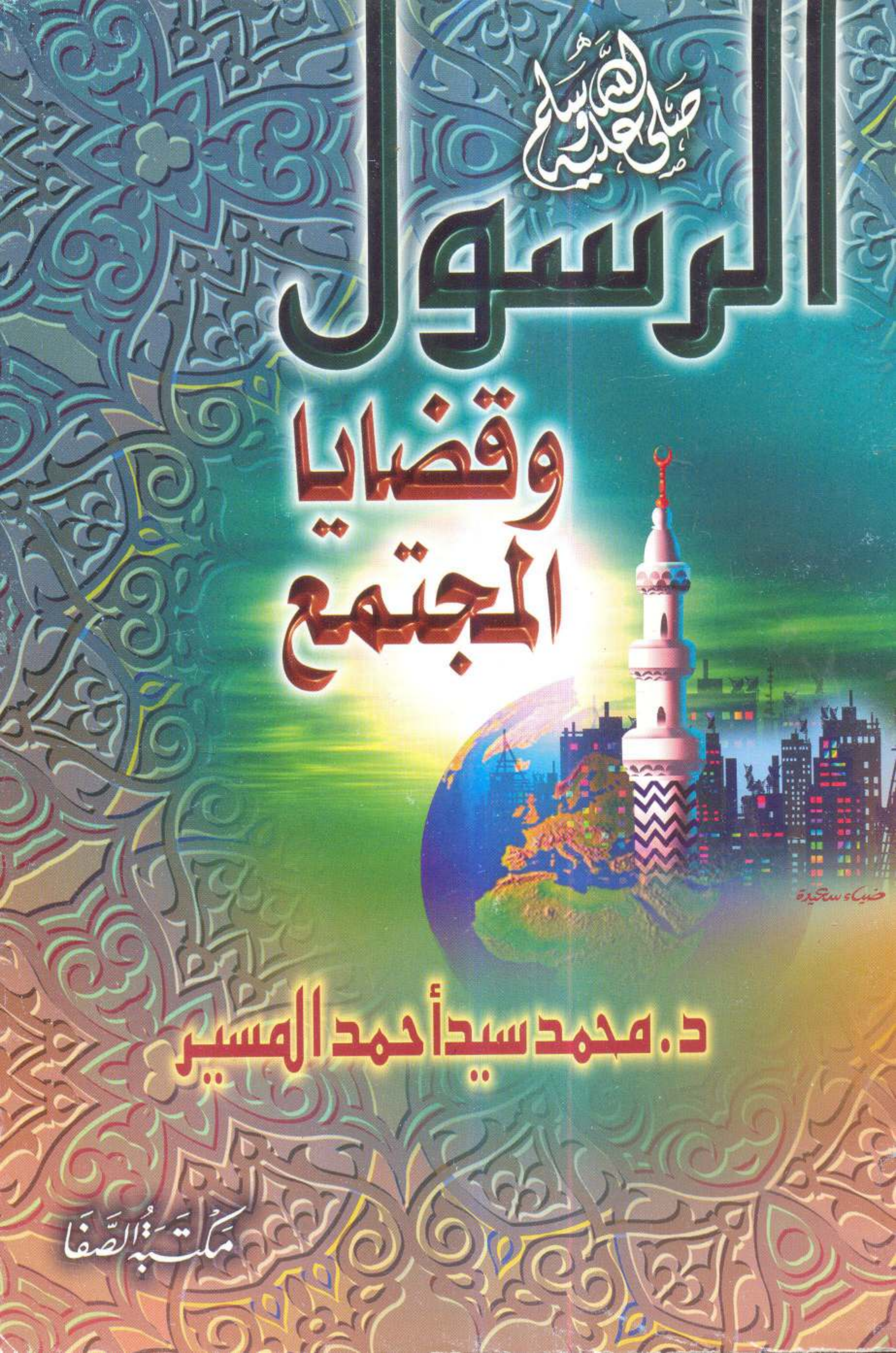

صلى الله عليه وسلم
الرسول
وقضايا
المجتمع
ضياء سعيدة
د. محمد سيد أحمد المسير
مكتبة الصفا

الرسول صلى الله عليه وسلم وقضايا المجتمع

تأليف

الدكتور محمد سيد أحمد المسير

مكتبة الصفا

بسم الله الرحمن الرحيم



الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

رقم الإيداع: ٢٠٠٢/٨٩٥٠

مكتبة الصفا

١٢٧ ميدان الأزهر، القاهرة ت: ٥١٤٧٣٢٠

١ درب الأتراك، خلف الجامع الأزهر ت: ٥١٤٧٩٧٤/٠١٠١٤٣١١١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى .. أما بعد ..

فهذا جزء يلحق بأجزاء أُخر من دراستنا حول فلسفة السيرة النبوية الشريفة، وهو قائم على الموضوعية التي اتخذناها منهاجًا لكتابة هذه الفلسفة، بعيدًا عن السرد التاريخي والتعاقب الزمني..

فنحن نقوم باختيار حدث من أحداث النبوَّة المحمدية، أو موقف من مواقفها العامة والخاصة، ثم نستنهض الهمم إلى مواطن القدوة وعلياء الخلق النبوي العظيم وفلسفة السيرة العطرة..

ويعرض هذا الكتاب لأهم قضايا المجتمع وهي:

١- الطفولة ٢- الشباب ٣- المرأة.

٤- الدعوة إلى الله ٥- الشورى. ٦- العدل الاجتماعي.

وذلك من خلال السيرة النبوية قولا أو فعلا ..

ولسنا ندعي استقصاء هذه الجوانب من حياة الرسول ﷺ ، وإنما يكفي أن نستلهم الذكرى، ونضرب المثل، ونسوق العبرة، ونقدم القدوة، عسى أن يجد الناس فيها ما يصلح شئونهم ويسعى بهم إلى آفاق القيمة والقمة..

﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾.

القاهرة في غرة جمادى الآخرة سنة ١٤١٠ هـ
٢٩/١٢/١٩٨٩م

أبو حذيفة
د. محمد سيد أحمد المسير

القضية الأولى:

الرسول ﷺ والطفولة

- البيت المسلم.
- براءة الطفولة.
- اختيار اسم المولود.
- مداعبة الطفل.
- نصيحة الطفل.
- تربية الطفل.
- الطفل اليتيم.
- موت الطفل.
- الطفل المعجزة في قصص النبي ﷺ:
  - عيسى ابن مريم.
  - طفل العابد جريج.
  - الطفل المتعوذ من الجبار.
  - طفل صاحبة الأخدود.
  - طفل الماشطة لبنت فرعون.

البيت المسلم

البيت هو المدرسة الأولى للطفل، يتعلم فيها آداب السلوك وقيم الحياة ومبادئ الدين، وكلما بنى البيت على تقوى من الله ورضوان كان أكثر استقرارًا، وأسعد لأهله، وأكرم لبنيه..

وقدم لنا رسول الله ﷺ معالم هذا البيت الطاهر، لقد كان لرسول الله ﷺ هدي خاص في الدخول إلى البيت والخروج منه، قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء**» رواه مسلم.

وقالت أم سلمة رضي الله عنها: ما خرج رسول الله ﷺ من بيتي قط إلا رفع طرفه إلى السماء وقال: «**اللهم إني أعوذ بك أن أَضل أو أُضل، أو أَزل أو أُزل، أو أَظلم أو أُظلم، أو أجهل أو يُجهل عليّ**» رواه الترمذي.

والبيت المسلم يسمع منه القرآن، ويحافظ أهله على التلاوة والعمل، ويكون لهم ورد يومي يتعاهدون فيه كتاب الله عز وجل.. ولذا أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي موسى الأشعري عن رسول الله ﷺ قال: «**مثل البيت الذي يذكر الله تعالى فيه والبيت الذي لا يذكر الله تعالى فيه مثل الحي والميت**».

ولا شك أن القرآن هو الذكر الحكيم، وخير ما يتقرَّب به الذاكرون إلى الله تعالى، وفي تشبيه رائع يضرب الرسول ﷺ أمثالا لقُرَّاء القرآن الذين يعملون به والذين لا يعملون، فيقول: «**مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجَّة[1] ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها طيب حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مرّ**».

وكان رسول الله ﷺ يقرأ القرآن ويستمع إلى قراءته، وذات يوم قال لعبد الله بن مسعود: «**اقرأ عليّ**»، فقال عبد الله: يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أُنزل، قال:

---

(١) الأُتْرُج - بضم الأول والثالث وسكون الثاني - شجر ناعم الأغصان والورق والثمر، وثمره كالليمون الكبار، وهو ذهبي اللون، ذكي الرائحة، حامض الماء [من المعجم الوسيط].

«نعم»، وفي رواية: **«إني أشتهي أن أسمعه من غيري»**، فقرأ ابن مسعود سورة النساء حتى أتى هذه الآية **﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾**(١) فقال له رسول الله ﷺ: حسبك الآن، فالتفت إليه ابن مسعود فإذا عيناه تذرفان.

والبيت المسلم يعمره الإيمان وتحفه الملائكة، طالما كان أهله يقرأون القرآن ويستمسكون بآدابه وقيمه..

وقد أخرج البخاري عن أُسيد بن حضير قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة، وفرسه مربوط عنده، إذ جالت الفرس (أي تحركت)، فسكت، فسكنت، فقرأ، فجالت الفرس، فسكت وسكتت الفرس، ثم قرأ، فجالت الفرس، فانصرف، وكان ابنه يحيى قريبا منها، فأشفق أن تصيبه، فلما اجتره (نقل ولده من المكان القريب من الفرس) رفع رأسه إلى السماء فإذا هو بمثل الظلة فيها أمثال المصابيح عرجت في السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدّث رسول الله ﷺ، فقال له: **«اقرأ يا ابن حضير، اقرأ يا ابن حضير، تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحتْ ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم»**.

ومن هذا المنطلق فإن البيت المسلم، يحرص على الفضيلة، ولا مجال فيه لفسوق وسوء، ولا يلتقي أهله إلا بمن على شاكلتهم في الإيمان والتقوى، ولا يصاحب أهله أحدًا فيه ريبة أو في سلوكه انحراف..

وفي الصحيح أن النبي ﷺ: **«لعن المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء، وقال: أخرجوهم من بيوتكم»**.

فهؤلاء الذين خرجوا عن طبيعة خلقتهم السوية، سواء كانوا رجالا يتشبهون بالنساء، أو نساء يتشبهن بالرجال ـ هؤلاء لا يسمح لهم بمخالطة الناس في بيوتهم، فهم مفسدون للأخلاق والقيم، لا يصلحون للصداقة والصحبة الطيبة..

وفي سنن أبي داود أن النبي ﷺ أتى بمخنث قد خضّب يديه ورجليه، فقيل: يا رسول الله، إن هذا يتشبه بالنساء، فنفاه الرسول ﷺ، فقيل: ألا تقتله، فقال: **«إني نهيت عن قتل المصلين»**.

وفي إطار حرمة البيوت وعفاف أهلها نرى أن الرسول ﷺ نهى عن الخلوة بالمرأة الأجنبية، وقال ـ كما في صحيح البخاري: **«إياكم والدخول على النساء، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيت الحَموَ؟ قال الحَمو الموت»**.

(١) سورة النساء، الآية: ٤١.

والحمو: قريب الزوج غير المحرم كأخيه وابن عمه وابن خاله، وهو نهى عما عليه عادة الناس من التساهل في ذلك.

والبيت المسلم يحافظ على الشعائر، ويهتم بالعبادة، وينشط أهله في المناسبات الدينية، ويجتمعون على الخير.. ولهذا كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وجدَّ وشدَّ المئزر.

والمعنى أن النبي ﷺ كان يجتهد في عبادة العشر الأخير من رمضان أكثر من غيره، ويشاركه في ذلك أهل بيته الكرام.

ويحدثنا ابن عباس ﵄ عن ليلة من ليالي رسول الله في بيته فيقول: بتّ في بيت ميمونة ليلة والنبي ﷺ عندها لأنظر كيف صلاة رسول الله ﷺ، فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد، فلما كان ثلث الليل الأخير أو بعضه قعد فنظر إلى السماء فقرأ **﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾**(١)، ثم قام فتوضأ واستاك، ثم صلى إحدى عشرة ركعة، ثم أذن بلال بالصلاة فصلى ركعتين، ثم خرج فصلى للناس الصبح..

في هذا الحديث ـ الذي رواه البخاري في أكثر من موضع ـ يصف ابن عباس ﵄ إحدى الليالي التي شاهدها في بيت خالته أم المؤمنين ميمونة ﵂، لقد مكث رسول الله ﷺ بعد العشاء ساعة يسامر أهله ويحدثهم ثم نام، وحين جاء الثلث الأخير من الليل استيقظ الرسول ﷺ متأملا في ملكوت السموات والأرض متدبرًا بديع صنع الله عز وجل، وتلى هذه الآية الكريمة من سورة آل عمران، وفي بعض الروايات أنه كان يقرأ العشر الآيات الخواتم من قوله تعالى: **﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾** إلى آخر السورة.

ثم توضأ رسول الله ﷺ واستاك وبدأ يصلي متهجدًا، وهنا قام ابن عباس ﵄ وهو ما يزال غلامًا حدثًا ـ كما في بعض الروايات ـ فصلى خلف الرسول الكريم ﷺ وقام عن يساره، فأخذ النبي ﷺ بأذنيه وأداره عن يمينه وسمعه يقول: **«اللهم اجعل في قلبي نورًا، وفي بصري نورًا، وفي سمعي نورًا، وعن يميني نورًا، وعن يساري نورًا، وفوقي نورًا، وتحتي نورًا، وأمامي نورًا، وخلفي نورًا، واجعل لي نورًا»**.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠.

براءة الطفولة

الطفولة براءة وطهارة، وقلب الطفل نور، وسلوك الطفل هو الفطرة قبل أن تلوثها البيئة والعادات والتقاليد..

وفي صحيح الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تُنْتَج البهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟!**».

ثم يقول أبو هريرة: واقرأوا إن شئتم: ﴿**فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ... الآية**﴾[1].

فالطفل مهيأ لقبول الحق، وعقله متفتح لإدراك الدين الصحيح، وقلبه مقبل على القيم والفضائل، لكن البيئة الفاسدة أو الأعراف البالية أو التقاليد غير السوية هي التي تدفع الطفل بعيداً عن فطرته، وتغير فيه معالم الحق، وتطمس في قلبه إشراق الأنوار الإلهية..

والحديث الشريف يخبر أن الطفل يولد بريئًا سليمًا من العيوب الأخلاقية، كما تولد البهيمة مجتمعة الأعضاء سليمة من النقص، لا يوجد بها قطع في أذنها أو غيرها، وإنما الناس هم الذي يحدثون الجدع والنقص بعد ذلك.. ويسمونها جدعاء.

وقد ذهب العلماء المحققون إلى أن الأطفال جميعاً من أهل الجنة إذا ماتوا وهم صغار، سواء كانوا من آباء مسلمين أو مشركين، لأن التكليف إنما يكون بعد البلوغ.

وجاءت أحاديث كثيرة بهذا المعنى، رواها البخاري ومسلم، منها حديث إبراهيم عليه السلام حين رآه النبي ﷺ في الجنة وحوله أولاد الناس، قالوا: يا رسول الله، وأولاد المشركين؟ قال: «**وأولاد المشركين**».

وجاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يومًا نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله، قال: «**اجتمعن يوم كذا وكذا**»؛ فاجتمعن، فأتاهن رسول الله ﷺ، فعلمهن مما علمه الله، ثم قال: «**ما منكنّ من امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كانوا لها حجابًا من النار**»..

فقالت امرأة: واثنين واثنين واثنين..

(١) سورة الروم، الآية: ٣٠.

فقال رسول الله ﷺ: «**واثنين واثنين واثنين..**»

وقد جاء في رواية غير مسلم: «**وواحدًا..**»

أما الأحاديث التي وردت ويفهم منها أن أطفال المشركين في النار فلها محمل آخر، وعلى سبيل المثال حديث عائشة رضي الله عنها: توفي صبي من الأنصار، فقالت: طوبى له، عصفور من عصافير الجنة، لم يعمل السوء ولم يدركه، قال عليه الصلاة والسلام: «**أو غير ذلك يا عائشة، إن الله خلق للجنة أهلا، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلا، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم**».

فلعله نهاها عن المسارعة إلى الجزم من غير أن يكون عندها دليل قاطع من باب الجرأة على الله تعالى والحكم عليه، فإن الله تعالى يفعل ما يشاء ولا معقب لحكمه.. أو لعله قال ذلك لها قبل أن يعلمه الله تعالى أن الأطفال كلهم في الجنة.

قال الإمام النووي[1]:

(وأما أطفال المشركين ففيهم ثلاثة مذاهب، قال الأكثرون: هم في النار تبعًا لآبائهم، وتوقفت طائفة فيهم، والثالث وهو الصحيح الذي ذهب إليه المحققون أنهم من أهل الجنة).

وما قد يثار حول قتل الغلام في قصة العبد الصالح مع موسى عليه السلام فليس داخلا معنا ولا حجة فيه، لأن القصة بأسرها خارجة عن نطاق التكليف الشرعي، ولها مغزى آخر يتعلق بقضايا الغيب، ولنقرأ قول الله تعالى: ﴿**وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً**﴾[2].

* * *

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٦، ص ٢٠٧.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٨٢.

اختيار اسم المولود

كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا، وقد امتد أثر هذا الخلق العظيم إلى الطفل المسلم بدءًا من ولادته وتسميته ومداعبته إلى تربيته وإعداده للحياة الفاضلة..

لقد دعا الرسول ﷺ المؤمنين إلى حسن اختيار الأسماء لأبنائهم، حتى لا يصابوا بعقد نفسية في مستقبل حياتهم، وحتى يلحظوا المعانى الكريمة في أخلاقهم، وحتى يربطوا الأبناء بمعالم القيم العليا..

ومن هنا قال عليه الصلاة والسلام ـ كما في صحيح مسلم ـ **«إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن»**.

كذلك التسمية بأسماء الأنبياء والصالحين فيها تذكير بمواقف الدعوة والجهاد، وربط بتاريخ الرسالات الإلهية والولاء لها والدفاع عنها، ولذا كان من أسماء أبناء الرسول ﷺ: عبد الله وإبراهيم.. وجاء في صحيح الحديث قول النبي ﷺ: **«ولد لي الليلة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم»**.

وقد سمى رجل ولدًا له محمدًا، فأبى قومه إلا أن يستأذنوا رسول الله ﷺ، فانطلق الرجل بابنه حامله على ظهره، فأتى به النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: ولد لي غلام فسميته محمدًا، فقال لي قومي: لا ندعك تسمي باسم رسول الله، فقال عليه الصلاة والسلام: **«تسموا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي، فإنما أنا قاسم أقسم بينكم»**.

وقد ورد في سبب النهي عن التكنية بأبي القاسم ما جاء في الصحيح عن أنس قال: نادى رجل رجلا بالبقيع: يا أبا القاسم، فالتفت إليه رسول الله ﷺ، فقال الرجل: يا رسول الله، إني لم أعنك وإنما دعوت فلانًا، فقال عليه الصلاة والسلام: **تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي**.

وذهب الإمام مالك وجمهور أهل العلم إلى أن هذا الحكم كان أول الأمر خشية الالتباس كما في هذه الواقعة، ولا حرج بعد ذلك في التسمية بمحمد والتكنية بأبي القاسم[1].

وقد ورد النهي تنزيهًا لا تحريمًا عن التسمية بأسماء إذا نفيت تشاءم الناس منها،

(١) راجع الآراء والمذاهب في صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٤، ص١١٣.

ففي صحيح مسلم عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: **«أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، لا يضرك بأيهنّ بدأت، ولا تسمين غلامك يسارًا ولا رباحًا ولا نجيحًا ولا أفلح، فإنك تقول: أثم هو؟ فلا يكون فتقول: لا، إنما هنّ أربع فلا تزيدن عليّ»**.

وفي رواية جابر قال: أراد النبي ﷺ أن ينهى عن أن يسمى بيعلى وببركة وبأفلح وبيسار وبنافع ونحو ذلك، ثم رأيته سكت بعد عنها فلم يقل شيئًا، ثم قبض رسول الله ﷺ ولم ينه عن ذلك، ثم أراد عمر أن ينهى عن ذلك ثم تركه.

وقد ثبت أن النبي ﷺ غير بعض الأسماء المستقبحة أو التي تدل على تزكية النفس أو يخاف منها التطير.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن ابنة لعمر كان يقال لها (عاصية) فسماها رسول الله: «جميلة».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت جويرية اسمها (برة) فحوّل الرسول ﷺ اسمها «جويرية»، وكان يكره أن يقال: خرج من عند (برة).

وتقول بنت أم سلمة: كان اسمي (برة) فسماني رسول الله ﷺ «زينب». قالت: ودخلت عليه زينب بنت جحش واسمها (برة) فسماها (زينب).

وفي رواية تعليل لهذا التغيير:

(لاتزكوا أنفسكم، الله أعلم بأهل البر منكم)[1].

* * *

(١) راجع الروايات في صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٤، ص١١٩.

مداعبة الرسول ﷺ للأطفال

رحمة رسول الله ﷺ عامة شاملة، وكان للطفل مكانة خاصة ونصيب كبير من هذه الرحمة..

لقد حرص الصحابة ﷺ على أن يذهبوا بأطفالهم حديثي الولادة إلى الرسول الكريم ليحنكهم بالتمر، بمعنى أن يمضغ الرسول ﷺ تمرة حتى تصير مائعة بحيث تبتلع ثم يفتح فم الوليد ويضعها فيه ليدخل شيء منها إلى جوفه، ولهذا الفعل دلالات كثيرة، فهو لون من التماس بركة رسول الله ﷺ، وهو تفاؤل حسن بدخول شيء حلو إلى جوف الصغير، وقد يكون لونًا من التطعيم للطفل بتنبيه جهاز المناعة عنده وتنشيطه..

وتحكي أسماء بنت أبي بكر ﷺ أنها خرجت مهاجرة وهي حبلى بعبد الله ابن الزبير فقدمت قباء فنفست، ثم قدمت إلى رسول الله ﷺ ليحنكه، فأخذه رسول الله ﷺ منها فوضعه في حجره، ثم دعا بتمرة، قالت عائشة: فمكثنا ساعة نلتمسها قبل أن نجدها، فمضغها ثم بصقها في فيه، فإن أول شئ دخل بطنه لريق رسول الله ﷺ، ثم قالت أسماء: ثم مسحه وصلى عليه (دعا له) وسماه عبد الله، ثم جاء وهو ابن سبع سنين أو ثمان ليبايع رسول الله ﷺ، وأمره بذلك الزبير، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآه مقبلا إليه ثم بايعه..

وقد قال العلماء: إن هذه البيعة كانت بيعة تبريك وتشريف لا بيعة تكليف..

وقد كانت عملية التحنيك هذه سنة عامة، تقول عائشة ﷺ إن رسول الله كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويحنكهم.

لقد كان رسول الله ﷺ حفيًا بالأطفال، يداعبهم ويتنزل إليهم، وقد ثبت في الصحيحين عن أبي قتادة ﷺ أن النبي ﷺ كان يصلي وهو حامل أُمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ، لأبي العاص بن الربيع، فإذا قام حملها وإذا سجد وضعها.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ: قبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالس، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبَّلت منهم أحدًا، فنظر إليه النبي ﷺ فقال: **«من لا يَرحم لا يُرحم»**.

وفي الصحيحين أيضًا من حديث عائشة ﷺ قالت: قدم ناس من الأعراب إلى رسول الله ﷺ فقالوا: أتقبِّلون صبيانكم، فقالوا: نعم، فقالوا: لكنا والله ما نقبِّل، فقال عليه الصلاة والسلام: **«أو أملك إن كان الله نزع من قلوبكم الرحمة»**.

وكان ﷺ إذا مر على غلمان أو صبيان سلم عليهم ومازحهم وتواضع معهم، وفي صحيح الحديث عن أنس بن مالك ﷺ قال: (كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا، وكان لي أخ يقال له أبو عمير، فكان إذا جاء رسول الله ﷺ فرآه قال: **«أبا عمير، ما فعل النغير»**[1].

وذلك أنه كان لهذا الطفل الصغير طائر يلعب به فمات، فحزن الطفل عليه حزنًا شديدًا، فكلما لقيه الرسول الكريم قال له: يا أبا عمير، ما فعل النغير، أي ذلك الطائر الذي مات..

قال الإمام النووي[2]: وفي هذا الحديث فؤائد كثيرة جدًا، منها جواز تكنية من لم يولد له، وتكنية الطفل، وأنه ليس كذبًا، وجواز المزاح فيما ليس إثمًا، وجواز تصغير بعض المسميات، وجواز لعب الصبي بالعصفور، وتمكين الولي إياه من ذلك، وجواز السجع بالكلام الحسن بلا كلفة، وملاطفة الصبيان وتأنيسهم).

وننبه إلى أن تمكين الأطفال للعب بالطيور إنما هو في حال الرفق بها والعناية بشأنها من غير إتلاف عضو أو إيلام، وواجب الآباء والأمهات هو إرشاد الأطفال إلى العناية بالطيور والحيوانات الأليفة..

وفي الصحيحين أن ابن عمر ﷺ مرّ بجماعة من الصبيان نصبوا دجاجة يرمونها، أي جعلوها هدفًا يرمونه بالسهام، فقال ابن عمر: من فعل هذا؟! إن رسول الله ﷺ لعن من فعل هذا.

* * *

---

(١) النغير بضم النون، تصغير النغر بضمها وفتح الغين، وهو طائر صغير.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٤، ص١٢٩.

نصيحة الرسول ﷺ للأطفال

الطفل في حاجة إلى النصيحة الرقيقة والمعاملة المهذبة، وقد كان للطفل المسلم نصيب في وصايا الرسول ﷺ ونصائحه..

لقد أكل رسول الله ﷺ مع الطفل في إناء واحد، وعلمه أدب الطعام ففي الصحيح عن عمر بن أبي سلمة قال: كنت غلامًا في حجر رسول الله ﷺ (أي في كفالته)، وكانت يدي تطيش في الصحفة (أي الإناء الذي فيه الطعام) فقال لي الرسول ﷺ: «**يا غلام، سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك**».

وهكذا أدب رسول الله هذا الغلام، وعلمه في رفق ولين وحنان..

ومن الأحكام الشرعية أنه يستحب إلقاء السلام على الأطفال، وتعويدهم على إلقائه، والرد عليهم، حتى يتعلموا البشاشة وحسن اللقاء، ولقد حدث أنس رضي الله عنه أنه كان يمشي مع رسول الله ﷺ، فمر بصبيان فسلم عليهم..

وذات يوم أردف النبي ﷺ خلفه ابن عباس، وكان غلامًا لم يتجاوز العاشرة من عمره، ثم سار به مليًا، ثم التفت إليه فقال: «**يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**» رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

وقد قال العلماء: إن في النداء بقوله (يا غلام) مجموعة حكم، فالنداء إذا وقع من الفاضل للمفضول يحصل له به ابتهاج وسرور، ولغفلته عن الكلمات التي سيوجهها الرسول ﷺ نزله منزلة البعيد، فناداه بالياء الموضوعة للبعيد، وعدل عن ندائه باسمه إيذانًا لمن لم يشهد الخطاب بعظيم فطنته ويقظته، حيث خاطبه بهذه الوصايا الخطيرة القدر مع كونه إذ ذاك غلامًا.

وهذا الحديث قائم على سبع جمل جمعت الدين كله، فحفظ الله بحفظ دينه،

فيقف الإنسان عند الأمر بالامتثال وعند النهي بالاجتناب، وحينئذ تتوالى على الإنسان العناية الربانية وتحفه البركات الإلهية، وما على المرء إلا أن يلجأ إلى الله وحده سؤالا واستعانة وتوكلا، وعزًا ومنعة وتحصنًا، فالله تعالى وحده هو ولي ذلك والقادر عليه.. والإيمان بالقضاء والقدر يريح النفس ويشرح الصدر ويورث الطمأنينة..

وهكذا خص الرسول ﷺ هذا الغلام بتلك الحكمة البالغة، فتحملها ورواها حديثًا يذكر في الآفاق ينتفع به المسلمون كافة.

*   *   *

تربية الطفل

للإنسان مراحل في حياته، لكل مرحلة منها اسم موضوع في اللغة، فالإنسان في بطن أمه يسمى جنينًا، وبعد الميلاد إلى البلوغ يسمى صبيًا أو طفلا صغيرًا، ومن حين الفطام إلى تسع سنين يسمى غلامًا، ومن البلوغ إلى ثلاثين سنة يسمى شابًا وفتى، ومن الثلاثين إلى الأربعين يسمى كهلا، وما بعد الأربعين يسمى شيخا..

ولكل مرحلة من هذه المراحل هدي خاص في حياة رسول الله ﷺ وتوجيهاته، وبالنسبة لمرحلة الطفولة فإن التكليف الشرعي مرتبط بالعقل والبلوغ، ولا إلزام ولا مسئولية على من فقد عقله، ولا على من هو دون البلوغ، وقد جاء في صحيح الحديث أن الرسول ﷺ قال: «**رفع القلم عن ثلاثة: عن الصبي حتي يبلغ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المجنون حتى يفيق**».

لكن من الهدي النبوي أن يشارك الأطفال في الصلاة والصيام وسائر العبادات ليشبّوا على تقوى من الله ورضوان.

وقد قال ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين**».

والأمر بالصلاة يتضمن عدة إشارات إلى جوانب مهمة في حياة الطفل التربوية وهي:

١- الطهارة والنظافة: حيث تسبق الصلاة ولا تصح بدونها.

٢- الإيمان والفضائل: حيث يرغب الطفل إلى الله ويقف على قيم الأخلاق والتدين.

٣- الشخصية الاجتماعية: حيث يشارك الطفل في الجمع والجماعات ويتعرف على الناس في المساجد..

ومن فقه الصلاة أن صفوف الصبية تلي صفوف الرجال وتسبق صفوف النساء في المسجد، وقد نبه الرسول ﷺ المسلمين إلى فضيلة أداء نوافل الصلاة في البيت حتى ينشأ الناشئ فتلازمه صورة الصلاة وهيئاتها، ولذا قال: (صلوا أيها الناس في بيوتكم، فإن أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة).

ومتى كان الصبي على فقه بالأحكام وحسن قراءة للقرآن جاز أن يؤم الناس للصلاة، وفي صحيح البخاري أن عمرو بن سلمة كان يؤم قومه وهو ابن سبع سنين.

وإلى صحة إمامة الصبي مطلقًا ذهب الحسن البصري والشافعي وإسحق، وكرهها

مالك والثوري، وعن أبي حنيفة وأحمد روايتان، والمشهور عنهما الإجزاء في النوافل دون الفرائض.

وصيام الطفل موقوف على مدى تحمله، فإن استطاع الصوم ولو مع يسير مشقة فلا بأس، وهو من أدب التربية الإسلامية وهدي التوجيه النبوي، حتى يستشعر الطفل معاني الولاء لله ورسوله، ويتعود على تحمل المشاق، ويتهيأ لتبعات الحياة في سرائها وضرائها..

وعن مشروعية صيام يوم عاشوراء نقرأ هذه الواقعة على عهد رسول الله ﷺ، ترويها الرُبَيِّع بنت معوذ بن عفراء، قالت: أرسل رسول الله ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار التي حول المدينة: من كان أصبح صائمًا فليتم صومه، ومن كان أصبح مفطرًا فليتم بقية يومه، فكنا بعد ذلك نصومه ونصوِّم صبياننا الصغار منهم إن شاء الله، ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناها إياه حتى يكون عند الإفطار.

كذلك فإن السياحة بالطفل في موسم الحج، وذهابه مع ولي أمره لأداء المناسك أمر محبب، وله فضل ومنزلة، ويترك آثارًا طيبة في عقل الطفل وسلوكه.

وفي صحيح الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: رفعت امرأة صبيًا لها، فقالت: يا رسول الله، ألهذا حج؟ قال: «**نعم، ولك أجر**».

وهذا الحج من الصبي تمرين وتعويد وتربية، ولا يسقط عنه حج الفريضة إن استطاع بعد ذلك بالغًا، وقد اختلف العلماء: هل تجري على الصبي كافة أحكام الحج وما يترتب عليها من فدية وهدي أم لا؟.

فأبو حنيفة يمنع ذلك كله ولا شيء على الصبي أثناء أدائه للنسك إن قدم أو أخر، وإن فعل أو ترك، وجمهور العلماء يقولون: تجري على الصبي أحكام الحج وما يترتب عليها وحجه منعقد ويقع نفلا.. والصغير إن كان غير مميز أحرم عنه وليه، وإن كان مميزًا علمه وليه.

إن الآباء والأمهات يذهبون اليوم بأبنائهم إلى أماكن التسلية واللهو ويصطافون بهم على شواطئ الأمواج، وقد يدفعون بهم إلى مشاهدة مواقف الجريمة والشذوذ، أفلا يجدر بالمستطيعين أن يصحبوا أبناءهم في أقدس رحلة وأكرم بقعة وأطهر مكان..

الرسول ﷺ والطفل اليتيم

ولد محمد ﷺ يتيمًا فآواه الله، ونشأ دون أب يرعاه فأدبه الله فاستقام له الفكر والسلوك فكان الصادق الأمين في الجاهلية، وكان خلقه القرآن في الإسلام..

وعاش الطفل اليتيم في حجر رسول الله ﷺ، وذلك عندما تزوج الرسول الكريم ﷺ هند بنت أبي أُمية بن المغيرة المخزومية التي اشتهرت بأم سلمة، بعد ما توفي زوجها أبو سلمة شهيدًا من أثر جرح أصابه في غزوة أحد..

لقد ترملت أم سلمة وهي كبيرة السن ومعها صبية صغار لا عائل لهم، وتحملت البأساء والشدة في سبيل دينها يوم هاجرت الهجرتين، إلى الحبشة وإلى المدينة حتى قالت: والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة.

هنا تزوجها رسول الله ﷺ ومنحها وسام أم المؤمنين وتكفل بأبنائها اليتامى وأحسن إليهم فكان يؤاكل عمر بن أبي سلمة وهو غلام ــ في إناء واحد، وتقول بنت أبي سلمة: كان اسمي (برة) فسماني رسول الله ﷺ زينب.. وكانت من أفقه نساء زمانها ورئيت وهي عجوز كبيرة ما نقص من وجهها شيء..

إن اليتيم من الناس هو من فقد أباه، وحق هذا الاسم أن يقع على الصغار والكبار إلا أن العرف خصه بمن لم يبلغ، فهو الذي يحتاج إلى كفالة من يقوم بأموره من نفقة وتأديب حتى يرشد ويستطيع أن يواجه الحياة بأعبائها، ولهذا ورد في الأثر: (لا يُتم بعد البلوغ).

وقد جعل رسول الله ﷺ القائم على رعاية اليتيم قريبًا له في الجنة فقال ــ كما في الصحيح ــ **«أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة» وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى»**.

كما بيَّن المصطفى ﷺ عظم ثواب كفالة المحتاجين والسعي في مصالحهم فقال: **«الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله»** قال أبو هريرة، وأحسبه قال: **«وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر»**، فانظر كيف جعل قضاء حوائج هؤلاء يعدل قممًا ثلاثًا من العمل الديني السامي، وهي الجهاد في سبيل الله، وصلاة الليل بغير انقطاع، وصيام الدهر بغير إفطار..

وهذا تأكيد نبوي كريم لأهمية أن يتكافل الناس ويكونوا عباد الله إخوانًا.

مشاعر الرسول ﷺ عند فقد الطفل

لكل إنسان موعد للقاء الله عز وجل لا يصل إليه علم البشر، وقد يحين هذا الموعد والإنسان طفل أو شاب أو كهل أو شيخ، قال الله تعالى: ﴿**وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ**﴾[1].

وقد مات لرسول الله ﷺ طفل صغير هو إبراهيم، ويحكي أنس رضي الله عنه كيف واجه النبي ﷺ هذا الموقف فيقول: قال رسول الله ﷺ: **«ولد لي الليلة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم»**، ثم دفعه إلى أم سيف امرأة قين (حداد) يقال له أبو سيف، فانطلق يأتيه واتبعته، فانتهينا إلى أبي سيف وهو ينفخ بكيره قد امتلأ البيت دخانًا، فأسرعت المشي بين يدي رسول الله ﷺ فقلت: يا أبا سيف أمسك، جاء رسول الله ﷺ، فأمسك فدعا النبي ﷺ بالصبي فضمه إليه وقال ما شاء الله أن يقول. فقال أنس: لقد رأيته (أي الصبي) وهو يكيد بنفسه (يجود بها) بين يدي رسول الله ﷺ فدمعت عينا رسول الله ﷺ، فقال: **«تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، والله يا إبراهيم.. إنا بك لمحزونون»**.

وفي واقعة أخرى يحدثنا عنها أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: كنا عند النبي ﷺ، فأرسلت إليه إحدى بناته تدعوه وتخبره أن صبيًا لها أو ابنًا لها في الموت، فقال للرسول: ارجع إليها فأخبرها أن لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فمرها فلتصبر ولتحتسب، فعاد الرسول فقال: إنها قد أقسمت لتأتينها، فقام النبي ﷺ وقام معه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل، وانطلقت معهم، فرفع إليه الصبي ونفسه تقعقع كأنها في شنة (أي لها صوت وحشرجة كصوت الماء إذ ألقى في القربة البالية)، ففاضت عيناه، فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال: **«هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»**.

لقد ظن سعد أن جميع أنواع البكاء حرام وأن دمع العين حرام، وظن أن النبي ﷺ نسي فذكره، فأعلمه النبي ﷺ أن مجرد البكاء ودمع العين ليس بحرام ولا مكروه، بل هو رحمة ودلالة على الشفقة والحنو والحنان، والمحرم هو النوح والندب ودعوى الجاهلية والاعتراض على القضاء والقدر..

---

(١) سورة الحج، الآية: ٥.

وكان رسول الله ﷺ يحضر جنازة الصبية ويشارك في الصلاة عليهم والدعاء لهم وتقديم العزاء لأهلهم. . .

وتحدث عائشة أم المؤمنين أن النبي ﷺ دعى إلى جنازة صبي من الأنصار، فقالت عائشة: طوبى لهذا، عصفور من عصافير الجنة، لم يعمل السوء ولم يدركه، فقال عليه الصلاة والسلام: **«أَوَ غير ذلك يا عائشة، إن الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم»**.

إن الرسول الكريم ﷺ يعلمنا هنا درسًا بليغًا هو التواضع لله عز وجل، وإدراك أن الأمر كله لله، والحديث عن الملأ الأعلى والغيب بشفقة ورجاء دون قطع وتزكية. . بحيث يكون المرء دائمًا بين الرجاء والخوف ولا يأمن مكر الله. . ولهذا لما مات عثمان بن مظعون رضي الله عنه قالت امرأته: هنيئًا لك الجنة، فنظر رسول الله ﷺ نظر المغضب وقال: **«وما يدريك؟»** فقالت: يا رسول الله، فارسك وصاحبك، فقال: **«إني رسول الله وما أدري ما يفعل بي»**.

هذا في مجال التعليم، أما حيث يكون الأمر حكمًا وتبليغًا للوحي فإن الرسول ﷺ قد حكم بأن الأطفال في الجنة وبشر بعض أصحابه بها.

ففي صحيح البخاري أن النساء قلن للنبي ﷺ: اجعل لنا يومًا، فوعظهن وقال: **«أيما امرأة مات لها ثلاثة من الولد كانوا لها حجابًا من النار»**، قالت امرأة: واثنان. . قال: **«واثنان»**.

* * *

الطفل المعجزة في قصص النبي ﷺ

أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة:

عيسى ابن مريم، وصاحب جريج، وكان جريج رجلا عابدًا، فاتخذ صومعة، فكان فيها، فأتته أمه وهو يصلي فقالت: يا جريج، فقال: يارب، أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته، فانصرفت، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي فقالت: يا جريج، فقال: يارب، أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته، فانصرفت، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي فقالت: يا جريج، فقال: أي رب، أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته، فقالت: اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه الموسات. .

فتذاكر بنو إسرائيل جريجًا وعبادته، وكانت امرأة بغيّ يتمثل بحسنها، فقالت: إن شئتم لأفتننه لكم.

قال: فتعرضت له، فلم يلتفت إليها، فأتت راعيًا كان يأوي إلى صومعته فأمكنته من نفسها، فوقع عليها فحملت، فلما ولدت قالت هو من جريج، فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه، فقال ما شأنكم؟ قالوا: زنيت بهذه البغي فولدت منك، فقال: أين الصبي؟ فجاءوا به، فقال: دعوني حتى أصلي، فصلى، فلما انصرف أتى الصبي فطعن في بطنه وقال: يا غلام، من أبوك؟ قال: فلان الراعي. .

فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به، وقالوا: نبني لك صومعتك من ذهب. قال: لا، أعيدوها من طين كما كانت، ففعلوا.

وبينا صبي يرضع من أمه، فمر رجل راكب على دابة فارهة وشارة حسنة، فقالت أمه: اللهم اجعل ابني مثل هذا.

فترك الثدي وأقبل إليه، فنظر إليه فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديه فجعل يرتضع.

قال (أبو هريرة): فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي ارتضاعه بإصبعه السبابة في فمه فجعل يمصها.

قال: ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون: زنيت، سرقت وهي تقول: حسبي الله ونعم الوكيل، فقالت أمه: اللهم لا تجعل ابني مثلها، فترك الرضاع ونظر إليها فقال: اللهم اجعلني مثلها. .

فهناك تراجعا الحديث، فقالت حلقى [١]: مر رجل حسن الهيئة فقلت: اللهم اجعل ابني مثله، فقلت: اللهم لا تجعلني مثله، ومروا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون: زنيت، وسرقت، فقلتُ: اللهم لا تجعل ابني مثلها، فقلتَ: اللهم اجعلني مثلها.

قال: إن ذاك الرجل كان جباراً فقلت: اللهم لا تجعلني مثله، وإن هذه يقولون لها زنيت ولم تزن، وسرقت ولم تسرق، فقلت: اللهم اجعلني مثلها».

* * *

وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن صهيب أن رسول الله ﷺ قال: «كان ملك فيمن قبلكم، وكان ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إلي غلامًا أعلمه السحر، فبعث إليه غلامًا يعلمه، فكان في طريقه إذا سلك ـ راهب، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه فشكى ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقال: حبسني الساحر.

فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب، فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها، فقتلها ومضى الناس.

فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بني، أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل عليّ.

وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمى، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحدًا،إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: ولك رب غيري؟ قال ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بني، قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص،

(١) حلقي بفتح الحاء وسكون اللام وبالقصر بغير تنوين، وقيل بالتنوين، وهي كلمة في أصل معناها الدعاء بوجع الحلق أو بحلق شعر المرأة، وأصبحت تستعمل في الحديث من غير إرادة المعنى الأصلي كقولهم: قاتله الله، وتربت يداه..

وتفعل، وتفعل، فقال: إني لا أشفي أحدًا، إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجيء بالراهب، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدعا بالمنشار، فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه..

ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه..

ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته، فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه.

فذهبوا به، فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله.

فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور [١] فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه.

فذهبوا به، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال كفانيهم الله، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهمًا من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني.

فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع، ثم أخذ سهمًا من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: باسم الله رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم في صُدغه، فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام..

فأتى الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر، قد والله نزل بك حذَرُك، قد آمن الناس.

فأمر بالأخدود في أفواه السكك، فخدت وأضرم النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فاحموه فيها، أو قيل له: اقتحم، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمه، اصبري فإنك على الحق».

(١) قرقور ـ بوزن عصفور: السفينة الطويلة.

وقفة في رحاب النص النبوي

إن العادة المعروفة هي أن الأطفال لا يتكلمون إلا بعد مرحلة زمنية قد تطول وقد تقصر، وفي البداية ينطقون بحروف متقطعة أو كلمات متفرقة، ومع التعود والاستمرار يبدأون النطق بكلمات مركبة..

ولكن هذه العادة قد تتخلف ـ بقدرة الله ـ فقد وجد أطفال تكلموا في المهد وأنطقهم الله الذي أنطق كل شيء.. وكان ذلك يمثل إنصافًا إلهيًا لبشر قد اتهموا زورًا وبهتانًا في أعراضهم، أو يمثل انتصارًا للعقيدة الصحيحة التي اضطهدت من طواغيت البشر..

وباستعراض الأحاديث التي وردت في ذلك نجد أن الصادق المصدوق سيدنا محمدًا ﷺ قد أخبر كما في صحيح البخاري ومسلم أنه لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة، وذكر عيسى ابن مريم عليه السلام وصبي العابد جريج، والصبي المتعوذ من الجبار أن يكون مثله..

وهناك روايات أخرى تضيف طفلا رابعًا هو طفل صاحبة الأخدود، وقد رواها مسلم، وطفلا خامسًا وهو رضيع ماشطة بنت فرعون، وقد رواها أحمد والبزار وابن حبان والحاكم..

وهناك روايات تضيف شاهد يوسف عليه السلام المشار إليه في قوله تعالى: ﴿ **وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا** ﴾، وفسر بأنه كان ابن خال زليخا صبيًا تكلم في المهد.. ولكن هذه الرواية ضعيفة الإسناد، ولأنه لو كان طفلا لكان مجرد قول إنها كاذبة كافيًا وبرهانًا قاطعًا، لأنه من المعجزات، ولما احتيج أن يقول: ﴿ **مِّنْ أَهْلِهَا** ﴾ ليبعد التهمة عن الشاهد، ولما علق الأمر على التحقيق من رؤية القميص: ﴿ **إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ** ﴾.

بقي تنبيه، وهو أن هؤلاء الأطفال المتكلمين في المهد إنما أجرى الله الكلام على لسانهم من غير تعقل منهم، إنقاذًا للموقف الصعب الذي وقع فيه أهلهم، ومن غير استمرار، فهم لم يظلوا متكلمين بعد هذا الموقف المعجز وإنما عادوا إلى طبيعتهم الأولى..

* * *

الطفل الأول ـ عيسى ابن مريم:

كانت مريم من بيت طاهر طيب في بني إسرائيل، ذكر الله قصة ولادة أمها لها في سورة آل عمران، وأنها نذرتها محررة، أي خادمة في بيت المقدس، وكان ذلك من القرب التي يتقرب بها إلى الله.. فنشأت على الحكمة والعفاف والتبتل الدؤوب إلى أن اطفاها الله على نساء العالمين، فحملت بعيسى عليه السلام من غير أن يمسها بشر ليكون آية للناس على قدرة الخالق الأعظم، ولتكتمل القسمة، فقد خلق الله آدم عليه السلام من غير ذكر ولا أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق بقية الذرية من ذكر وأنثى، إلا عيسى، فإنه أوجده من أنثى بلا ذكر، فتمت القسمة الرباعية الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه، فلا إله غيره، ولا رب سواه..

ولما استسلمت مريم لقضاء الله وجاءها المخاض قالت ـ كما حكى القرآن ـ: ﴿ **يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا** ﴾[1]، فقد أدركت أنها ستمتحن بهذا المولود، فالناس لن يصدقوها في خبرها وسيظنون بها الظنون بعد أن اشتهرت بينهم بالعبادة والتنسك، ولم تدر ما تواجه به قومها، فأمسكت عن الكلام المباح..

شاع الخبر، وأخذ الناس يتقولون عليها:

﴿ **يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا** ﴾.

هنا تدخل القدر الإلهي الأعلى وحسم الموقف حسمًا تامًا، فإذا بالصبي الذي في المهد ينطق ببراءة أمه وبرسالة تنتظره ليعيد الناس إلى الروحانية الخالصة بعد أن غشيتهم المادية الحالكة، وليرشدهم إلى حقوق الله وحقوق العباد بعد أن فرطوا فيها، وليذكرهم بيوم النشور: ﴿ **لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ** ﴾.

ويصور ذلك كله قوله تعالى:

﴿ **فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا** ﴾[2].

---

(١) سورة مريم، الآية: ٢٣.

(٢) سورة مريم، الآيات: ٢٩ : ٣٣.

تلك هي قصة عيسى ابن مريم، عبد الله ورسوله، كان بشرًا كالبشر، يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، ورسولا كالرسل، يدعو إلى وحدانية الله وعبادته..

ولكن الناس اختلفوا فيه ما بين منكر للرسالة ومعتقد، وما بين مكذب بوجوده ومصدق، وما بين محب غال ومبغض حاقد..

وقد حكم القرآن فعدل وقال فصدق:

﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٣٥) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٣٦) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾.

* * *

الطفل الثاني ـ طفل العابد جريج:

(أ) من جريج؟:

رجل من بني إسرائيل من بعد عيسى، كان تاجرا ثم آثر العزلة والرهبنة فبنى صومعة واعتكف فيها، وترك المال والأهل.. وقد حدثنا الرسول ﷺ عن هذا العابد، وروى قصته للصحابة، وجاء هذا الحديث في صحيح البخاري ومسلم..

وكان من عادة أمه أن تأتي لتزوره حتى تطمئن عليه فيكلمها وتكلمه.. وذات يوم جاءت فإذا به قائم يصلي، فنادته فلم يرد عليها، فقالت: يا جريج، أنا أمك فكلمني.. فتنازع في قلب هذا العابد واجبان: واجب التفرغ لحق الله وإجلاله على كل شيء، وواجب البر بتلك الأم المنادية، فقال: اللهم أمي وصلاتي!!

فاختار صلاته واستمر فيها..

ولما لم يجب الأم رجعت وهي قلقة على ابنها، مضطربة لعدم إجابتها، ثم عادت إليه في اليوم الثاني، فصادفته أيضًا يصلي، فرفعت صوتها بالنداء عليه، فوقع في نفس الموقف السابق وقال: اللهم أمي وصلاتي!! واختار صلاته.

فرجعت وهي أشد ما تكون شوقًا إليه وقلقًا عليه..

وعادت في اليوم الثالث، فشاء الله أن يكون ابنها في صلاة، ويتكرر المشهد السابق، ويختار جريج إكمال صلاته..

حينئذ انفطر قلب الأم الولهى لرؤية ابنها والحديث معه، فرفعت يديها إلى السماء وقالت:

اللهم إن هذا جريج وهو ابني، وإني كلمته فأبى أن يكلمني، اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات!!

(ب) القصة العجيبة:

دائما أصحاب النفوس الكبيرة ينالهم خطاب الجاهلين ويهزأ بهم الذين أجرموا.. فقد شاع بين بني إسرائيل عبادة جريج واعتزاله المال والأهل، وتفرغه لمناجاة مولاه، فأراد شرار قومه أن يوقعوا به، فقالت لهم امرأة بغي يتمثل بحسنها، أي يضرب بها المثل في الحسن والجمال: لأفتننه!!

فتعرضت له ودعته إلى نفسها، فلم يلتفت إليها وآثر جناب الله، وأبى إلا الإبقاء على الطهر والعفاف..

وإزاء ذلك الموقف أصرت البغي على الجريمة مهما كان الثمن، فوجدت راعيًا للغنم يأوى إلى صومعة جريج يبيت عنده، فأتت إلى هذا الراعي وأمكنته من نفسها، فوقع عليها وحملت منه.

وتمضي الأيام ويحين المخاض، فإذا بمولود، وإذا بها تزعم أنه من جريج ذلك العابد وتنسبه إليه..!!

ويشيع الخبر ويتطاير، ويندفع الناس خلف الناعق دون برهان، ويذهبون إلى الدير، ويستنزلون جريجًا ويهدمون صومعته وجعلوا يضربونه!!

ووسط هذا الموقف المضطرب العاصف يسأل الرجل العابد:

ما شأنكم؟!

فيقولون له: زنيت بهذه البغي فولدت منك..!!

ياحسرة على العباد..!!

أشرار الخلق يكيدون لأولياء الله..

ويقف الأولياء مواقف الاتهام..

وينالون من بأساء الحياة وضرائها..

ولكن رحمة الله ـ جلت حكمته ـ قريبة من المحسنين، ولكن فرج الله يسرع إلى المتقين، ولابد للحق من ظهور، ولابد للطهر من استعلاء..

حينئذ قال العابد المتهم البرىء: أين الصبي؟

فجاءوا به، فقال: دعوني حتى أصلي..

فتوضأ وصلى ولجأ إلى الله بدعاء ضارع أن يكشف عنه السوء والفحشاء ويجعل له من أمره مخرجًا، وتذكر دعوة أمه عليه أن يريه وجوه الموسمات، فتاب وخر راكعًا وأناب..

فلما فرغ من صلاته مسح رأس الغلام وقال له: من أبوك؟!

فأنطقه الله الذي أنطق كل شيء ـ كرامة لجريج ـ وقال الصبي: أبي راعي الضأن..!!

فلما سمع الجمع المحتشد ذلك الصوت البرىء بهت الذي كفر، وسكنت عقول الثائرين، واستيقظت على تلك الكرامة الكبرى التي استنقذ الله بها جريجًا من كيد الكائدين.. فأقبلوا عليه يقبلونه ويتمسحون به وقالوا له: نبني صومعتك من ذهب..

فحمد الله وشكر له وقال لهم: أعيدوها من طين كما كانت..

(جـ) بعض أحكام وآداب:

لقد وقع جريج في هذه المحنة العصيبة بسبب دعوة أمه عليه، وقد قال ﷺ: **«ولو دعت عليه أن يفتن لفتن»**، أي ولو شاءت أن تدعو عليه بالفتنة، كالوقوع في الزنا أو القتل أو غير ذلك من المحرمات لتقبل الله دعاءها.. وفي هذا بيان أن دعوة الأم ليس بينها وبين الله حجاب.. وقد تلطفت أم جريج مع غضبها في الدعاء، وذلك لما جبلت عليه الأمهات من الشفقة بالأبناء..

وهنا تنبيه نتوجه به إلى الأمهات خاصة وإلى الناس عامة، وهو أن نحذر الدعاء على النفس أو على أحد وقت الغضب، فقد يصادف ساعة إجابة.. ففي صحيح مسلم عن عمران بن حصين أنهم كانوا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقة، فضجرت، فلعنتها، فسمع النبي ﷺ، فقال: **«خذوا متاعها ودعوها..»**.

وفيه أيضًا عن جابر قال: سرنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ورجل من الأنصار على ناضح (بعير يستقي عليه) له، فتلدن عليه بعض التلدن (تلكأ ولم ينبعث) فقال له: سر لعنك الله، فقال رسول الله ﷺ: **«انزل عنه فلا تصحبنا بملعون، لا تدعوا على أنفسكم ولا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم»**.

هذا وقد أخذ العلماء من تلك القصة لجريج أنه كان الصواب في حقه أن يجيب أمه ويقطع صلاته، أو يخفف منها، لأنه كان في صلاة نفل والاستمرار فيها تطوع، وإجابة الأم وبرها واجب وعقوقها حرام، خصوصًا إذا علمنا أن الزيارة تكررت لشوقها إليه واحتياجها لمكالمته، فأعرض عنها..

وكل ذلك يؤكد حق الأم ويوجب علينا التحرز عن إغضابها بأي طريق كان، فإن الله قد حرم عقوق الأمهات وجعله من أكبر الكبائر.

قال تعالى: ﴿**وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ**﴾[1].

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ ـ كما في صحيح الحديث ـ وقال: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك.

قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك.

قال: ثم من؟ قال: أبوك.

وأقبل رجل إلى نبي الله ﷺ قال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله..

قال له الرسول الكريم ﷺ: **«فهل من والديك أحد حي؟»**

قال الرجل: نعم، بل كلاهما.

قال المصطفى ﷺ: **«فتبتغي الأجر من الله؟!»**

قال الرجل: نعم.

قال عليه الصلاة والسلام: **«فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما»**..

* * *

(١) سورة لقمان، الآية: ١٤.

الطفل الثالث:

قصة الطفل الثالث تمثل اتجاهًا عامًا في الحياة يجب أن نتنبه إليه، وهو أن كثيرًا من الناس يخدعون بالمظاهر وتفتنهم زهرة الدنيا فيحسبون أن السعادة كامنة فيها.. مع أن رضا الله هو الذي يضفي على الأشياء منافعها الحقيقية، وأن توفيق الله هو الذي يضيء لنا الحياة..

وكثير من الأمهات يحرصن على أن يكون لأبنائهن الجاه والمنصب..

نعم.. نحن لا نمانع في ذلك، ولكن ليكن الدين هو الهدف والغاية ولتكن الفضيلة هي العنوان العام، وليكن الخير والكمال هو الثمرة المرجوة..

كذلك فإن الحياة كثيرًا ما يتهم فيها الفاضل، ويعذب البريء، فيجب أن نقف موقف المتثبت، فلا نشيع منكرًا، ولا نتناقل كذبًا، فإن أكبر الكبائر أن يمتهن إنسان في عرضه، أو يظلم في ماله، أو تقتل نفس بغير حق..!!

حول هذه المعاني يحدثنا الرسول ﷺ من خلال قصة الطفل الثالث.. فيحكي أنه بينما صبي يرضع من أمه إذ مر رجل راكب على دابة فارهة وشارة حسنة، فقالت الأم: اللهم لا تمت ابني حتى يكون مثله..!!

فقد خدعت الأم بالصورة الظاهرة، ولكن الله سبحانه أراد أن يلقن الأمهات درسًا، فأطلع الصبي على حقيقة أمر الرجل وأنطقه بقوله: اللهم لا تجعلني مثله..!!

ثم أقبل الصبي على ثدي أمه يرتضع، وبعد قليل مروا بجارية وهم يضربونها ويقولون: زنيت وسرقت، وهي تقول: حسبي الله ونعم الوكيل..

فقالت الأم: اللهم لا تجعل ابني مثلها.

فترك الصبي الرضاع ونظر إليها فقال: اللهم اجعلني مثلها..

حينئذ وقفت الأم مشدوهة، وأقبلت على الصبي تحدثه وتسأله عما أشكل عليها وغاب عنها، وهي في الحقيقة تجأر إلى الله أن يزيل حيرتها ويكشف الغطاء عن بصيرتها، فنطق الصبي بقدرة الله:

إن ذاك الرجل كان جبارًا، وفي رواية البخاري: كان كافرًا، فقلت: اللهم لا تجعلني مثله، أي متكبرًا كافرًا، وإن هذه المرأة يقولون لها: زنيت ولم تزن، وسرقت

ولم تسرق، فقلت: اللهم اجعلني مثلها، أي طاهرًا من الخطيئة، بريئًا من الذنب، متوكلا عليك، واثقًا بنصرك..!!

هذا درس من دروس الحياة يعلمنا ألاَّ نقف مع الظواهر الخادعة أو أن ننساق وراء الأدعياء..

وقريب من هذه المعاني ما جاء في صحيح البخاري: أن رجلا مر على رسول الله ﷺ، فقال لرجل عنده جالس: «**ما رأيك في هذا؟**» فقال: رجل من أشراف الناس، هذا والله حري إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفع.. فسكت رسول الله ﷺ. ثم مر رجل آخر فقال له الرسول ﷺ: «**ما رأيك في هذا؟!**» فقال: يا رسول الله، هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حري إن خطب ألاَّ ينكح، وإن شفع ألاَّ يشفع، وإن قال ألاَّ يسمع لقوله، فقال عليه الصلاة والسلام: «**هذا خير من ملء الأرض مثل هذا..**» ولعل الرجل الأول كان كافرًا منافقًا..

* * *

الطفل الرابع:

تبدأ قصة هذا الرضيع المتكلم في المهد حيث تنتهي قصة غلام حدث أجرى الله تعالى على يديه خوارق العادات، إنه غلام نشأ في أبهة الملك وآثر الدين الصحيح ورفض السحر حتى جعله الله عنوانًا كريمًا لدعوة الحق، فكان يشفي المرضى ويبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله..

وبقوة إيمانه استطاع هذا الغلام أن يجذب إلى دينه جليس الملك وجعله يجهر بقضية الإيمان الكبرى في وجه الملك قائلا: ربي وربك الله..

ولقي جليس الملك والراهب ربه راضيًا مرضيًا شهيدًا.. وحين حاول الملك أن يقضي على الغلام لم يمكنه الله تعالى إلا بطريقة فيها تدبير إلهي أعلى..

لقد خاب فأل الملك وطاش سهمه ولم يتحقق له قتل الغلام بإلقائه من فوق جبل أو بإغراقه في اليم..

وتقدم الغلام - بإرادة الله تعالى - إلى الملك بخطة تظهر الدين الحق أمام تجمع الناس، وفي غفلة من الملك الذي فقد صوابه..

وما كاد الملك يقول ــ غيظًا وحقدًا ليتخلص منه ــ باسم الله رب الغلام، حتى علا صوت الجماهير الحاشدة: آمنا برب الغلام..!

وتعمق الإيمان في نفوس الناس، وكان أشبه بإيمان سحرة فرعون، ولم يفلح في صرفهم عن الدين الجديد تهديد أو وعيد..

هنا يأمر الملك بحفر الأخاديد ــ وهي الحفر الكبيرة في الأرض ــ وأضرمت فيها النيران الملتهبة، وسيق هؤلاء المؤمنون، رجالا ونساءً وصبية، بلا رحمة ولا شفقة، حتى جاءت امرأة ومعها طفل صغير، فتقاعست أن تقع في الأخدود، لأنه تزاحم على قلبها التضحية من أجل الإيمان، والغريزة الفطرية في الحفاظ على رضيعها..

حينئذ أنطق الله الصبي بما يثبت فؤادها فقال: يا أماه اصبري فإنك على الحق..

فألقت بنفسها وبطفلها وفازت بالشهادة، وتصاغرت أمامها كل مظاهر هذه الحياة الفانية..

وبهذا كان طفل صاحبة الأخدود وغلام الملك، مثلا أعلى على درب الخالدين..

وصدق الله تعالى حيث يقول: ﴿**قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ**﴾[1].

* * *

الطفل الخامس:

طفل امرأة خازن فرعون، تلك المرأة كانت تمشط ابنة فرعون فوقع المشط من يدها، فقالت: تعس من كفر بالله..

فقالت لها بنت فرعون: ألك رب غير أبي؟!

قالت: ربي ورب أبيك ورب كل شيء هو الله..

فلطمتها بنت فرعون، وأخبرت أباها، فأرسل إليها وقال: أتعبدين ربًا غيري؟!

قالت: نعم، ربي وربك ورب كل شيء هو الله..

(١) سورة البروج، الآيات: ٤-١١.

فحاول فرعون أن يردها عن دينها الذي آمنت به على لسان موسى وهارون عليهما السلام.. فأبت وأصرت على إخلاص دينها لله، ونقاء عقيدتها، فعذبها عذابًا شديدًا، ومثل بطفلها حيث ذبحه في فمها، وما كان الله ليذر هذه المؤمنة الصابرة المحتسبة من غير بشارة عاجلة، فأنطق الله طفلها بقوله: أبشري يا أماه، فإن لك عند الله من الثواب كذا وكذا..

وظلت هذه المرأة على إيمانها حتى قبضت وهي مؤمنة صادقة الوفاء..

* * *

وبعد.. فهذا هو الطفل المعجزة في الفكر الديني، ليس من قبيل الأقاصيص واختراعات العجائز، وإنما هو إخبار الصادق المصدوق، وذلك من دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام..

فما كان محمد ﷺ بجانب مريم، إذ انتبذت من أهلها مكانًا شرقيًا، وما كان شاهدًا في بني إسرائيل حين هدموا صومعة العابد جريج، وما كان بجوار الصبي المتعوِّذ من الجبار، حتى قال أبو هريرة رضي الله عنه: (فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي ارتضاعه بإصبعه السبابة في فمه فجعل يمصها).

وما كان محمد ﷺ قريبًا من الأخدود، ومقيمًا في قصر فرعون حتى يحكي لنا تفاصيل تلك الوقائع..

ولكنها جميعًا إخبار بالغيب من الله لعبده ورسوله ليكون ذلك شاهد صدق على الرسالة: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾[1].

ومن جهة أخرى فإن لهذا الطفل المعجزة في الفكر الديني أثرًا قويًا في تثبيت العقيدة وإعلاء شأن القيم العليا التي قد يغفل عنها الناس نتيجة شهوة جامحة أو سلطة غاصبة أو جبروت طاغ..

كذلك فإن الطفل المتكلم في المهد كان ضرورة في مواقف معينة، كشاهد لا يكذب، في قضية غاب شهودها، كما هو الحال مع مريم البتول، أو جريج العابد، أو الجارية المعذبة..

* * *

(١) سورة النجم، الآيتان: ٣-٤.

القضية الثانية:

الرسول ﷺ والشباب

- ❁ مواقف خالدة.
- ❁ عفاف الشباب.
- ❁ العمل اليدوي.
- ❁ التدريب العسكري.
- ❁ ظاهرة الغلو.
- ❁ وفود الشباب.
- ❁ توقير الشباب للشيوخ.

مواقف خالدة

إن الشباب في كل أمة هم عمد حياتها وقوة نهضتها، وهم طلائع الخير متى وجدوا الناصح الأمين والقدوة الحسنة . .

وقد أثبت الواقع والتاريخ أن الشباب يمكن أن يؤثر في مجرى الأحداث، بل إنه ليتخذ مثلا يقتدى به، ويقتفى أثره، متى صدقت النوايا ووضحت الأهداف، ولنا في السابقين إلى الإسلام قدوة ، فقد كان معظمهم من الشباب الذين شرح الله صدورهم للحق، فصدقوا ما عاهدوا الله عليه.

لقد كان حول رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وطلحة ابن عبيد الله، وعبد الله بن مسعود، وسعد بن أبي وقاص، وجعفر بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، وصهيب الرومي، وعبد الله بن مظعون. . وغيرهم كثير، وكلهم دون العشرين يوم أسلموا لله رب العالمين. .

بل إن رسول الله ﷺ يوم كان يدعو الناس سرًا في أول العهد المكي اتخذ من دار الأرقم بن أبي الأرقم مقرًا للدعوة الإسلامية . .

والأرقم كان شابًا يافعًا، ثاني عشر من السابقين إلى الإسلام، وظل المسلمون يجتمعون سرًا في داره على الصفا حتى تكاملوا أربعين رجلا، وكان آخرهم إسلامًا عمر بن الخطاب الذي قال عنه ابن مسعود: إن إسلام عمر كان فتحًا، وإن هجرته كانت نصرًا، وإن إمارته كانت رحمة، ولقد كنا ما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قريشًا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه. .

وأول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ هو عبد الله بن مسعود، وفي ذلك قصة:

اجتمع يومًا أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجل يسمعهم؟

فقال عبد الله بن مسعود: أنا، فقالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلا له عشيرة تمنعه من القوم إن أرادوه، فقال: دعوني، فإن الله سيمنعني، فغدا عبد الله حتى أتى المقام في الضحى وقريش في أنديتها، حتى قام عند المقام، فقال رافعًا

صوته: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾. فاستقبلها فقرأ بها، فتأملوا، فجعلوا يقولون، ما يقول ابن أم عبد؟ ثم قالوا: إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد، فقاموا فجعلوا يضربون في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا في وجهه، فقالوا: هذا الذي خشينا عليك.

فقال: ما كان أعداء الله قط أهون عليّ منهم الآن، ولئن شئتم غاديتهم بمثلها غدًا.

قالوا: حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون(١).

* * *

وعندما هاجر المسلمون إلى الحبشة كان منهم جعفر بن أبي طالب وهو الذي وقف أمام نجاشي الحبشة يدافع عن الإسلام، ويشرح معالم هذا الدين الجديد فقال: أيها الملك كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الرحم، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف.. فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام.. وعدد جعفر أمور الإسلام..

واستطاع هذا الشاب البليغ أن يقنع الملك بالإسلام، حتى قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة(٢).

* * *

ولعل موقف علي بن أبي طالب ليلة الهجرة النبوية من أبرز مواقف الشباب البطولية..

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين بن الأثير، ج٣، ص٢٨١ ـ طبعة دار الفكر.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير، تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد، ج٢، ص٩-٢٣.

لقد اجتمعت قريش وأحاطت بدار النبي ﷺ ليضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه ويتفرق دمه في القبائل، وجاء الإذن الإلهي لرسول الله ﷺ بالهجرة، فدعا رسول الله ﷺ ابن عمه عليّ بن أبي طالب وأمره أن يبيت في فراشه تلك الليلة ويتسجّى ببرد له أخضر، وذلك لهدفين:

الأول: خداع قريش التي كانت تنظر إلى فراش رسول الله ﷺ فيرون فيه عليًا رضي الله عنه فيظنونه النبي..

الثاني: رد الودائع إلى أهلها، فلم يكن أحد بمكة عنده شيء يخشى عليه إلا استودعه الصادق الأمين رغم إنكارهم رسالته..

فتحمل علي بن أبي طالب هذا الموقف بيقين الصادقين وثبات المؤمنين المخلصين رغم سنه التي لم تجاوز العشرين عامًا..

* * *

ومن الشباب النقي الحافظ للقرآن والكاتب له (زيد بن ثابت الأنصاري) كان عمره يوم قدم النبي ﷺ المدينة إحدى عشرة سنة، واستصغره الرسول ﷺ يوم بدر، فرده، وشهد الخندق، ونقل التراب مع المسلمين، ووصفه الرسول ﷺ يومئذ بأنه نعم الغلام، وكانت راية بني مالك بن النجار يوم تبوك مع عمارة بن حزم، فأخذها الرسول ﷺ ودفعها إلى زيد بن ثابت، فقال عمارة: يا رسول الله، بلغك عني شيء؟ قال: «**لا، ولكن القرآن مقدم، وزيد أكثر أخذًا للقرآن منك**».

وعمل زيد بن ثابت كاتبًا لوحي رسول الله ﷺ، وتعلم السريانية في سبع عشرة ليلة ليقرأ بها الكتب التي تأتي إلى المصطفى الكريم، وبعدما انتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى وتولى الخلافة أبو بكر الصديق وشرح الله صدره لجمع القرآن في صحف، اختار زيد بن ثابت لهذا الجمع، وذكر في خطاب تكليفه مرشحات هذا الاختيار فقال: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه..

يقول زيد: فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن..

فما من مسلم يقرأ اليوم القرآن إلا وفي عنقه دين لهذا الشاب الأنصاري.

إن مؤهلات زيد لهذه المهمة الخطيرة أربعة:

ـ الشباب. ـ العقل. ـ الأمانة. ـ الخبرة.

وتلك مؤهلات كل عمل ناجح..

إن رسول الله ﷺ كان حريصًا على أن يضع الشباب في مواقع القيادة والمسئولية، طالما توفر للشباب مؤهلات النجاح، وإن آخر جيش أعده الرسول ﷺ كان بعث أسامة بن زيد الذي أمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء من أرض فلسطين وجعل تحت قيادته المهاجرين الأولين والأنصار، ولما مرض رسول الله ﷺ تمهل القوم في خروج الجيش وتقولوا على إمرة أسامة لحداثة سنه، ولكن الرسول ﷺ يخرج من فراش مرضه عاصبًا رأسه ويجلس على المنبر:

فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: «**أيها الناس أنفذوا بعث أسامة، فلعمري لئن قلتم في إمارته، لقد قلتم في إمارة أبيه من قبل، وإنه لخليق للإمارة وإن كان أبوه لخليقًا لها**».

ولما اشتد المرض برسول الله ﷺ خرج أسامة بجيشه وعسكر على فرسخ من المدينة لينظروا ما الله قاض في رسوله ﷺ.

ولما لحق المصطفى بالرفيق الأعلى وماجت الأرض بحركة الردة أصر الخليفة الأول أبو بكر الصديق على إنفاذ بعث أسامة، ولما طلب البعض عزل أسامة وتولية غيره ممن يكبره سنًا ويفوقه عنصرًا، وجاء عمر بن الخطاب إلى الخليفة يشاوره الأمر، وثب أبوبكر وأخذ بلحية عمر وقال: ثكلتك أمك يابن الخطاب، استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني بعزله، وخرج أبو بكر لتوديع الجيش وهو ماش وأسامة راكب، فيقول أسامة: يا خليفة رسول الله، لتركبن أو لأنزلن.

فيقول الصديق: والله لا نزلت ولن أركب، وما عليّ أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله.

هكذا حرص الرسول ﷺ على الشباب وعلم أصحابه كيف يستثمرون قوى الخير الكامنة فيه.

* * *

ولعل من أبرز مواقف تقدير الشباب وإيثارهم ما حدث عندما نزلت الآيات تكشف خفايا صدور المنافقين وخاصة الزعيم ورأس الفتنة عبد الله بي أُبيّ في قوله تعالى: ﴿**لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ**﴾[1]، حينئذ ظن القوم أن في الآيات قضاء عليه وأن الرسول لا شك آمر بقتله.

هنا يتقدم شاب مسلم تقيّ هو ابن هذا المنافق، وكان يسمى أيضًا عبد الله، فيقف خاشعًا أمام الرسول الكريم ﷺ ويقول: يا رسول الله: بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أُبيّ، فإن كنت فاعلا فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبرّ بوالده مني، وإني لأخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس فأقتله، فأقتل مؤمنًا بكافر فأدخل النار.

ولكن الرسول ﷺ بمنطق الجلال والسمو والتقدير لهذا الشاب المؤمن يقول له: «**إنا لا نقتله، بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا**».

صلي الله وسلم وبارك على هذا النبي العظيم.

* * *

(١) سورة المنافقون، الأية: ٨.

عفاف الشباب

في نداء كريم من أجل العفاف الشريف يقول الرسول ﷺ : **«يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»**.

فالغرائز التي فطرنا الله عليها يجب أن تلبى، ولكن في إطار القيم والفضائل وفي ظلال المنهج الإلهي.

والرسول ﷺ حريص على عفاف الشباب، ولذا أمر كل من يستطيع أن يتحمل تبعات الزواج أن يتقدم ولا يتأخر حتى تهدأ نفسه وتسكن عواطفه ويستثمر قواه فيما ينفعه بدل أن يبددها في دروب الشيطان.

وقد أكد الرسول ﷺ ضرورة تيسير الزواج، ونهى عن أن يتحول المهر إلى نوع من التعجيز أو الصد عن إقامة شعيرة الزواج، فأخفهنّ مهوراً أكثرهنّ بركة..

وذات يوم قدم رجل إلى الرسول الكريم ﷺ يطلب منه مساعدة في صداق زوجته، فقال له الرسول ﷺ : على كم تزوجتها؟ قال الرجل: على أربع أواق.. فتعجب الرسول ﷺ قال: **«كأنما تنحتون الفضة من عُرض هذا الجبل»**. أي أنتم لا تقطعون الأموال من الجبال فلا تغالوا فيها.

ومرة أخرى وقفت امرأة مع رجل يريدان الزواج، وليس مع الرجل شيء يدفعه صداقًا، ودار حوار سجله البخاري في صحيحه هكذا:

قال الرسول ﷺ : **«هل عندك شيء؟»**

قال الرجل: لا والله يا رسول الله.

قال الرسول ﷺ : **«اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئًا؟»**

فذهب ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله ما وجدت شيئًا.

فقال الرسول ﷺ : **«انظر ولو خاتمًا من حديد»**.

فذهب ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله ولا خاتمًا من حديد، ولكن هذا إزاري - قال الراوي: ما له رداء - فلها نصفه.

فقال الرسول ﷺ : **«ما تصنع بإزارك إن لبستَه لم يكن عليها منه شيء، وإن لبستْه لم يكن عليك منه شيء»**.

فجلس الرجل حتى طال مجلسه، ثم قام، فرآه الرسول ﷺ موليًا، فأمر به فدعي، فلما جاء قال الرسول ﷺ : **«ماذا معك من القرآن؟»**.

قال الرجل: معي سورة كذا وسورة كذا - عددها.

قال عليه الصلاة والسلام: **«أتقرؤهن عن ظهر قلبك؟ قال الرجل نعم، قال عليه الصلاة والسلام: اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن»**. وفي رواية: **«انطلق فقد زوجتكها فعلمها من القرآن»**.

هكذا يكون الحرص على العفاف الشريف، وهكذا يكون تيسير بناء الحياة الزوجية.

وقد نبّه الرسول ﷺ الشباب إلى ضرورة مراعاة الدين والأخلاق عند إرادة الزواج حتى تستقر الأسرة وتسعد، وما وراء ذلك من جمال أو مال أو حسب، فلا قيمة له منفردًا، وإنما تتأكد قيمته يوم يلتقي مع الدين ويتعانق مع القيم، ولذا قال رسول الله ﷺ - كما في صحيح البخاري: **«تنكح المرأة لأربع، لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»**.

وهذا الحديث يبين اتجاهات الناس عند الزواج، ويرشد إلى أهمية مراعاة الدين عند الاختيار، ولا ضير بعد ذلك أن يصحبه جمال أو مال أو حسب فذلك خير..

وقد وقع في حديث عبد الله بن عمرو عند ابن ماجه رفعه: (لا تزوّجوا النساء لحسنهنّ، فعسى حسنهنّ أن يرديهنّ، ولا تزوّجوهنّ لأموالهنّ، فعسى أموالهن أن تطغيهنّ، ولكن تزوجوهنّ على الدين، ولأمة سوداء ذات دين أفضل).

ولقد بلغ من حرص الصحابة على الزواج والعفاف أن عرض الأنصار التنازل عن بعض زوجاتهم للمهاجرين، ففي صحيح البخاري عن أنس بن مالك قال: (قدم عبدالرحمن بن عوف فآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، وعند الأنصاري امرأتان، فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله، فقال: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلوني على السوق، فأتى السوق فربح شيئًا من أقط وشيئًا من سمن، فرآه النبي ﷺ بعد أيام وعليه وَضَر من صفرة.

فقال: «**مَهْيم يا عبد الرحمن؟**»

فقال: تزوجت أنصارية. قال: «**فما سقت؟**»

قال: وزن نواة من ذهب. قال: «**أولِمْ ولو بشاة**».

ولتأكيد قضية العفاف نصح الرسول ﷺ الشباب أن يتزوجوا الأبكار العذارى ليتحقق كمال الإعفاف ما لم تكن هناك مصلحة راجحة..

ويحدثنا جابر بن عبد الله ـ كما في صحيح البخاري ـ قال: «قفلنا مع النبي ﷺ من غزوة، فتعجلت على بعير لي قطوف[1]، فلحقني راكب من خلفي فنخس بعيري بعنزة[2] كانت معه، فانطلق بعيري كأجود ما أنت راء من الإبل، فإذا النبي ﷺ، فقال: «**ما يعجلك؟**» قلت: كنت حديث عهد بعرس. قال: «**أبكرًا أم ثيبًا؟**» قلت: ثيبًا.

قال: «**فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك**».

قال جابر: فلما ذهبنا لندخل قال عليه الصلاة والسلام: «**أمهلوا حتى تدخلوا ليلاً ـ أي عشاء ـ لكي تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة**».

لقد تزوج جابر بن عبد الله ثيبًا لمصلحة اقتضتها أحواله الخاصة، ففي رواية: هلك أبي وترك سبع بنات ـ أو تسع بنات ـ فكرهت أن أجمع إليهنّ جارية خرقاء[3] مثلهنّ، ولكن امرأة تقوم عليهنّ وتمشطهنّ، قال: بارك الله لك.

وعندما كان يعود الرسول وجيشه من غزوة خارج المدينة يعسكر الجيش بعض الوقت على حدود المدينة حتى يشيعَ الخبر بعودة الجنود فتستعد كل زوجة للقاء زوجها على أبهى صورة وأجمل منظر.

* * *

(١) القطوف من الدواب التي تسيء السير وتبطئ.

(٢) العنزة أطول من العصا وأقصر من الرمح يتوكأ عليها الشيخ الكبير.

(٣) لا رفق لها ولا حنو..

العمل اليدوي

الإسلام حريص على شغل أوقات الفراغ لدى الشباب حتى لا يقعوا فريسة الحيرة والقلق والاضطراب، ومن العجيب المدهش حقًا أن يكون للتربية الرياضية والحرف اليدوية نصيب في دين الله عز وجل، فيرد النص المقدس بالحث عليها والقيام بها..

ففي صحيح الحديث أن النبي ﷺ مرّ على نفر من قبيلة (أسلم) ينتضلون ـ أي يرمون على سبيل المسابقة ـ فقال: «**ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا، وأنا مع بني فلان**»، فأمسك أحد الفريقين بأيديهم، فقال عليه الصلاة والسلام: «**ما لكم لاترمون؟**» فقالوا: يا رسول الله، نرمي وأنت معهم؟!!

فقال: «**ارموا وأنا معكم كلكم**».

فهذا موقف نبيل، إن الرسول الكريم ﷺ حث هؤلاء الشباب على الاستمرار في الرماية، وذكرهم بجدهم الأعلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، فقد كان يجيد الرمي، ولتأكيد الموقف وبيان أهمية الرمي انضم الرسول الكريم ﷺ إلى أحد الفريقين ليمارس معهم فن الرماية، وهنا رفض الفريق الآخر مواصلة المسابقة، إذ كيف يحاولون غلبة فريق فيه رسول الله ﷺ..

ولما أحس الرسول ﷺ بشعورهم شجعهم جميعًا ودعاهم إلى مواصلة الرمي..

وعن أهمية العمل اليدوي يقول ﷺ: «**ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده**».

وقد شدد الرسول ﷺ النهي عن المسألة والتسول حتى تظل كرامة الإنسان في مقامها السامي، وجاءت أحاديث كثيرة بأساليب بيانية مختلفة تدعو إلى العمل وتنفر من التكاسل..

ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لأن يغدو أحدكم فيحطب على ظهره فيتصدق به ويستغني به من الناس خير له من أن يسأل رجلا أعطاه أو منعه ذلك، فإن اليد العليا أفضل من اليد السفلى وابدأ بمن تعول**».

وهنا يحث الرسول الكريم ﷺ على العمل والإنفاق، بحيث يكون المسلم نافعًا لنفسه ولمجتمعه.

وفي تهديد شديد يقول عليه الصلاة والسلام: «**لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مزعة لحم**».

والمعنى أن يذهب حياؤه وتضيع كرامته ويلقى الله ذليلا مهينًا..

ويقول عليه الصلاة والسلام: «**من سأل الناس أموالهم تكثرًا فإنما يسأل جمرًا فليستقل أو ليستكثر**».

فالأموال التي تجمع من غير جهد شريف وبلا عرق طاهر تتحول يوم القيامة إلى جمر يكوى به المتسول..

وقد وجه الرسول ﷺ إلى أهمية زراعة الأرض واستثمارها، فقال: «**لا يغرس مسلم غرسًا ولا يزرع زرعًا فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شيء إلا كانت له صدقة**».

كما دعا الرسول ﷺ إلى التعاون لإقامة الصناعات، فأخرج البخاري: أن أبا ذر رضي الله عنه سأل النبي ﷺ: أي العمل أفضل؟ قال: «**إيمان بالله وجهاد في سبيله**»، قال: فأي الرقاب أفضل؟ قال: «**أغلاها ثمنًا وأنفسها عند أهلها**»، قال: فإن لم أفعل؟ قال: «**تعين صانعًا أو تصنع لأخرق**»، قال: فإن لم أفعل؟ قال: «**تدع الناس من الشر فإنها صدقة تصدق بها على نفسك**».

ومعنى إعانة الصانع: أن تمنحه أو تقرضه مبلغًا من المال ليقيم به صناعته، ومعنى الصناعة للأخرق: أن تعلم صنعتك لمن لا يحسنها.

وقد حذر الرسول ﷺ أن يضيع الإنسان صحته وفراغه فيما لا جدوى منه ولا فائدة فيه، وبين أن كثيرًا من الناس لا يستغلون هاتين النعمتين استغلالا صحيحًا، فقال: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**».

فما أجدر أن يتعود الشاب على العمل اليدوي احترامًا وممارسة، فاليد العاملة يد يحبها الله ورسوله، والمسلمون في عصرهم الذهبي للإسلام كانوا جميعًا أصحاب حرف ومهن، فالصحابة ـ رضى الله عنهم ـ تجار ورعاة غنم، ولم ينقطع الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن التجارة إلا بعد أن فرض له المسلمون من بيت المال ما يكفي حاجته وحاجة من يعولهم كي يتفرغ لأعباء الخلافة ومسئوليتها..

ويحدثنا التاريخ عن أعلام المسلمين بأوصاف مهنهم، مثل القفال والماوردي والخصاف والخواص وغيرهم..

التدريب العسكري

كان رسول الله ﷺ حريصًا على الرمي بالسهام، حفاظًا على القدرة القتالية، وتمرينًا مستمرًا على استعمال السلاح واستثمارًا للوقت فيما هو أجدى وأنفع، ولذا شدد رسول الله ﷺ في النهي عن التفريط في التدريب حتى في أوقات السلم والراحة.. ففي صحيح مسلم عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ستفتح عليكم أرضون ويكفيكم الله، فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه**».

فالمراد أنه حتى مع استقرار الأمور واستتباب الأمن لا يجوز إهمال التدريب وتمرين الأعضاء على ممارسة أساليب القتال..

وقد رئى أحد الصحابة في حال الكبر يمارس الرمي ويحافظ على التدريب عليه رغم المشقة التي تعتريه، فقيل له في ذلك، فقال: لولا كلام سمعته من رسول الله ﷺ لم أعانه.. إنه قال: «**من علم الرمي ثم تركه فليس منا أو قد عصى**».

وحرصًا على هذه المعاني وتأكدًا لمناط القدوة كان رسول الله ﷺ يباشر ذلك بنفسه، وكان يتسابق على الخيل والإبل.

ففي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سابق بالخيل التي قد أضمرت من الحيفاء وكان أمدها ثنية الوداع، وسابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق، وكان ابن عمر فيمن سابق بها. وفي رواية قال عبد الله: فجئت سابقًا فطفف بي الفرس المسجد.

والمعنى في الحديث الشريف أن الرسول العظيم ﷺ أجرى مسابقتين: الأولى بين الخيل المضمرة وهي التي يقلل علفها مدة وتدخل بيتًا كنينًا ويوضع عليها لباس الخيل لتعرق ويجف عرقها فيجف لحمها وتقوى على الجري، ومسافة السباق كانت بين الحيفاء وثنية الوداع، وبينهما أكثر من ستة أميال، والمسابقة الثانية بين الخيل غير المضمرة، وكانت المسافة من ثنية الوداع إلى مسجد لجماعة هم بنو زريق، ويحكي ابن عمر أنه هو الذي سبق، حتى إن فرسه علا ووثب إلى المسجد، وكان جداره قصيرًا ــ بعد أن جاوز الغاية للسباق.

وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: كان للنبي ﷺ ناقة يقال لها

(العضباء) لا تُسبق، فجاء أعرابي على قعود فسبقها، فشق ذلك على المسلمين حتى عرفه رسول الله ﷺ فقال: «**حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه**».

نحن هنا أمام موقف تعليمي رائد، فناقة رسول الله كانت لا تسبق بما عرف عنها من شدة العدو وقوة الاحتمال..

وكلمة (العضباء) وصف للناقة باعتبار ما قطع من أذنها، فالعرب تسمي الناقة التي قطع طرف أذنها (جدعاء) فإذا بلغ الربع فهي (قصواء) فإذا جاوزه فهي (عضباء) فإذا استؤصلت فهي (صلماء)، وعندما جاء أعرابي على جمل له فسبق الناقة ظهر الغضب على المسلمين وبدا حتى لاحظه الرسول ﷺ، فحاول أن يسري عنهم، فأعطاهم حكمة بالغة ودرسًا في فن الحياة، فقال: «**حق على الله ألاّ يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه**».. فبقاء الحال من المحال، والدهر يومان: يوم لك ويوم عليك.

وحرصًا من رسول الله ﷺ على الاستعداد الدائم لخوض المعارك والدفاع عن الحرمات قال عليه الصلاة والسلام: «**الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، الأجر والغنيمة**». وقال «**من احتبس فرسًا في سبيل الله إيمانًا بالله وتصديقًا بوعده فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة**».

وإذا كان رسول الله ﷺ قد أكد أهمية الخيل، فهذا لون من ألوان السلاح ما زال مستعملا إلى يوم القيامة، وله مواقعه التي هي ألصق به، ولكنه لا ينفي أي نوع آخر قد يستحدثه الإنسان أو يخترعه، وهذا العموم هو المقصود من قوله تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ**﴾[1].

* * *

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

ظاهرة الغلو

ظاهرة الغلو والإفراط عرفتها المجتمعات قديمًا وحديثًا، وقد تكون نتيجة حب جارف أعمى أو رد فعل لمواقف آثمة، أو نتيجة جهل بحقيقة الدين والعبادة..

والقرآن الكريم قد مقت هذه الظاهرة مهما كان الدافع لها، فقال سبحانه: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ**﴾[1].

وقال جل شأنه: ﴿**وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا**﴾[2].

ومعنى «إلا ابتغاء رضوان الله»: الاستثناء منقطع، فالله جل جلاله لم يكتبها عليهم وإنما هم اخترعوها زعمًا منهم أنها تقربهم إلى الله، وقد ذمهم الله من وجهين:

أحدهما: الابتداع في دين الله ما لم يأمر به.

والثاني: عدم وفائهم بما التزموه ـ فإن المنبت لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى..

وقد عالج الرسول ﷺ ظاهرة الغلو والإفراط في مواقف متعددة، منها:

في يوم فتح مكة وانتصار المسلمين وعودتهم إلى الكعبة المشرفة ظافرين جاء إلى الرسول ﷺ رجل ترتعد فرائصه، فقال له الرسول الإنسان ﷺ: «**هوِّن عليك، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد**»[3].

وعندما استبّ رجل من المسلمين ورجل من اليهود، فقال اليهودي في قسم يقسمه: لا والذي اصطفى موسى على العالمين.

فرفع المسلم يده فلطم بها وجه اليهودي فقال: أي خبيث، وعلى محمد ﷺ؟ أي وهل اصطفى موسى على محمد عليهما الصلاة والسلام؟ فجاء اليهودي إلى النبي ﷺ واشتكى، فقال الرسول ﷺ: «**لا تفضلوا بين الأنبياء**»، وفي رواية: «**لا تفضلوني على الأنبياء**».

والمعنى أن حكم التفضيل إنما هو لله عز وجل وليس لبشر، وما علينا إلا الانقياد والتسليم، وليس التفضيل أمر عصبية وعرق وإنما هو أمر خلق ودين، وليس التفضيل تخاصمًا وتشاجرًا وإنما هو تواضع وشكر لله..

(١) سورة النساء، الآية: ١٧١. (٢) سورة الحديد، الآية: ٢٧.

(٣) القديد: اللحم الذي يوضع في الشمس فترة زمنية حتى يسهل حفظه لمدة أطول.

وإذا كان سيدنا محمد ﷺ سيد ولد آدم فلا يحق لأحد أن يتخذ من ذلك وسيلة تعصب وبغض وكراهية..

هذا ومن المعروف أن الشباب أكثر الناس إغراقًا في الغلو، لما يحسون به من قوة وعافية، وما يمرون به من مراهقة، وما يؤملونه من آمال كبار.

وقد قدم ثلاثة نفر من الشباب المسلم على عهد رسول الله ﷺ إلى بيوت أزواجه يسألون عن عبادته، وهم: علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعثمان بن مظعون..

فلما أُخبروا بعبادته كأنهم تقالوها، أي عدوها قليلة، ثم عللوا ذلك وقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ، قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ فقال أحدهم: أما أنا فإني أُصلي الليل أبدًا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا.

وهكذا ظن هؤلاء أن الباعث على العبادة ينحصر في خوف العقوبة ونسوا أن خوف الإجلال أعظم، وأن المغفور له يجب أن يكون عبدًا شكورًا..

فلما بلغ خبرهم رسول الله ﷺ جاءهم وقال لهم: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له.. لكني أصوم وأُفطر، وأُصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**».

ومن هنا نعلم أن العبادة أوسع بابًا، وهي ليست وقفًا على الاصطلاح الفقهي المعروف حين قسم الفقهاء الشريعة إلى عبادات ومعاملات، ويعنون بالعبادات الصلاة والزكاة والصيام والحج ويعنون بالمعاملات البيوع والنكاح والأقضية والشهادات والحدود والمواريث، فإن هذا اصطلاح ولا مشاحة في الاصطلاح.

ولكني لا أستطيع أن أفهم أن المراد بالعبادة في مثل قوله تعالى: ﴿**وما خلقتُ الْجِنَّ والإنس إلاَّ ليعْبُدون**﴾[1] هو هذا الاصطلاح الفقهي؟

إن العبادة بمفهومها الشرعي هي امتثال الأمر واجتناب النهي في خضوع وضراعة. والأمر الشرعي له درجاته من الوجوب والندب والنهي الشرعي له درجاته من الحرمة والكراهة.

فكل أوامر الله ونواهيه ملزمة للمكلف بدرجات الإلزام المختلفة، وهي في مجموعها العبادة الشرعية.. والدين كل لا يتجزأ.. فهو تنزيل رب العالمين الذي أحاط بكل شيء علمًا..

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

وفود الشباب

التقى رسول الله ﷺ بوفود كثيرة جاءت تتعرف على الإسلام، وتبايع على الولاء للرسول ﷺ، وتستفسر عن حدود الله عز وجل، ومنذ بدء الدعوة وعلى طول الرسالة في عهديها المكي والمدني توالت الوفود، إلا أن العام التاسع للهجرة سمى عام الوفود لكثرة اللقاءات التي وقعت فيه.

ونقف الآن مع وفد من وفود الشباب جاء يتعلم الدين ويفقه الإسلام ليعود إلى أهله ووطنه محملا بالدعوة، مأمورًا بالتبليغ.. ففي صحيح البخاري بسنده عن مالك بن الحويرث قال:

قدمنا على النبي ﷺ ونحن شببة، فلبثنا عنده نحوًا من عشرين ليلة، وكان النبي ﷺ رحيمًا، فقال: «**لو رجعتم إلى بلادكم فعلمتموهم، مروهم فليصلوا صلاة كذا في حين كذا، وصلاة كذا في حين كذا، وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم**».

مالك بن الحويرث هذا من بني ليث بن بكر من أهل البصرة، قدم على النبي ﷺ في جماعة من الشباب، فمكثوا عشرين ليلة، واستضافهم فيها الرسول يعلمهم ويزكيهم ويوضح لهم مفاهيم الدين وعقائد الإسلام.

وبعد مضي عشرين يومًا شعر الرسول الكريم ﷺ بحاجة هؤلاء الشباب ورغبتهم في العودة إلى أهليهم وأوطانهم.. فكان رحيمًا رفيقًا معهم وسمح لهم بالرجوع وحملهم أمانة التبليغ والدعوة، وأمرهم بالمحافظة على الصلوات وحدد لهم مواعيدها وشرح لهم كيفية أدائها.

وخص الرسول ﷺ الصلاة بالتنبيه، لأنها فريضة محكمة تتكرر يوميًا خمس مرات، ولها أثر تربوي بالغ في سلوك المسلم، وقد أمرهم الرسول ﷺ بالأذان الذي يعلم الناس بدخول الوقت ويقطع تشاغلهم بأعمال الدنيا ويدفعهم إلى زاد التقوى، وعلمهم الرسول ﷺ أن يلتزموا بجماعة المسلمين وأن يؤمهم أكبرهم..

وهنا موقف تأمل فقهي فإن المعروف أن الإمام هو الأفقه، وترتيب الأئمة في الصلاة حدده الرسول ﷺ بقوله: «**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة**

سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سلمًا، وفي رواية: سنًا».

والأقرأ على عهد رسول الله ﷺ كان الأفقه، وقد ذكر العلماء أن الأكبر سنًا في مجموعة شباب مالك بن الحويرث كان هو الأفقه، أو أنهم كانوا سواء في القراءة فقدم الأكبر، وقد صرح البخاري بذلك وجعله عنونًا للباب فقال (باب إذا استووا في القراءة فيؤمهم أكبرهم) وساق حديث مالك هذا.

* * *

توقير الشباب للشيوخ

إن توقير الشباب للشيوخ احترام للقيم وتأصيل لمعاني الخير في النفس، وتربية أخلاقية نبيلة..

وكان الشباب على عهد رسول الله ﷺ يحافظ على هذه القيم ويدرك عمق معناها، وذات يوم طرح الرسول ﷺ على أصحابه مسألة فقال: «**إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، حدثوني ما هي؟**».

فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: فوقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت، وفي رواية: فإذا أنا أصغر القوم، وفي رواية: فإذا أنا عاشر عشرة أنا أحدثهم.

ولما يئس المجلس من معرفة هذه الشجرة قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله.

قال: «**هي النخلة**».

وملخص هذه الواقعة أن الرسول ﷺ ضرب مثلا للمؤمن بالنخلة، فهي كثيرة النفع، فمن حين تطلع إلى أن تيبس تؤكل أنوعًا، وينتفع بجميع أجزائها، حتى النوى يصلح لعلف الدواب، والليف يستخدم في صناعة الحبال، وغير ذلك، فكذلك المسلم بركته عامة في جميع الأحوال، ونفعه مستمر له ولغيره.

لقد استحث الرسول ﷺ أصحابه على معرفة هذه الشجرة التي يشبه بها المسلم في كثرة الانتفاع، فذهبت أفكارهم في أشجار البوادي، كل منهم يفسرها بشجرة من الأشجار وذهلوا عن النخلة.

لكن عبد الله بن عمر ـ وهو أحدث القوم الجالسين سنًا ـ وقع في نفسه أنها النخلة، ولم يتكلم استحياء من كبار القوم الذين يجلسون مع رسول الله ﷺ. وتضيف بعض الروايات أن عبد الله حدث أباه عمر بعد انتهاء المجلس بما وقع في نفسه وأنه أدرك ما سأل عنه الرسول ﷺ. فقال عمر لابنه: لأن تكون قلتها أحب إلى من حمر النعم..

إن الإسلام حريص على التواصل بين الأجيال، والمجتمع الإسلامي لا يعرف

الصراع الاجتماعي، وشعار المسلمين قول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[1].

وفي حديث رواه الترمذي يقول عليه الصلاة والسلام: «**ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا**». ويقول: «**ما أكرم شاب شيخًا لسنه إلا قيّض الله له من يكرمه عند سنه**».

* * *

(١) سورة الحشر الآية ١٠ .

القضية الثالثة :

الرسول ﷺ والمرأة

- بيعة النساء.
- مع هند بنت عتبة.
- المرأة العروس.
- المرأة الكارهة.
- المرأة الحزينة.
- المرأة المجاهدة.
- صلاة المرأة في المسجد.

بيعة النساء

وردت روايات في البخاري ومسلم ومسند أحمد وغيرهم تفيد مبايعة النساء لرسول الله ﷺ، وهذه المبايعة كانت أحيانًا جماعية وأحيانًا فردية، وتولاها رسول الله ﷺ نفسه أو أناب عنه عمر بن الخطاب في بعضها..

ونصوص البيعة هي قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾(١).

ووقعت هذه البيعة لما قدم رسول الله ﷺ المدينة فجمع نساء الأنصار في بيت ثم أرسل إليهن عمر بن الخطاب، كما كان يتعاهدها الرسول ﷺ مع النساء يوم العيد عقب الخطبة، فيشق صفوف الرجال حتى يأتي النساء ويأخذ عليهنّ البيعة، كما تولاها الرسول الكريم ﷺ مع النساء المهاجرات عقب صلح الحديبية ليتبين إيمانهن فيمنعن من العودة للمشركين، فكان الرسول ﷺ يمتحن المهاجرة بالله ما خرجت من بغض زوج، وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض، وبالله ما خرجت التماس دنيا، وبالله ما خرجت إلا حبًا لله ولرسوله.

وقد أجمعت الروايات على أن الرسول ﷺ لم يأخذ بيد النساء أثناء البيعة مثلما فعل مع الرجال، قالت عائشة ﵂ كما في صحيح البخاري: «**وما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة إلا امرأة يملكها**».

هذا، ونصوص البيعة - كما ذكرتها الآية السابقة - قائمة على ستة بنود أساسية لا يقبل إسلام المرأة بدونها، وهي جامعة لخصال البر وفضائل الأسرة وقيم المجتمع المثالي.

النص الأول: «ألاّ يشركن بالله شيئًا».

فاستقامة العقيدة وصحة الإيمان في جلال الله وكماله هي مفتاح الجنة، وهي التي تجعل باقي الطيبات مدخل القبول عند الله، فلا عمل بدون إيمان، ولا أخلاق بدون عقيدة.

---

(١) سورة الممتحنة، الآية: ١٢.

النص الثاني: «ولا يسرقن».

فالمرأة راعية في مال زوجها ومسئولة عن رعيتها، وهي حافظة للغيب بما حفظ الله، وأخص صفاتها الأمانة، أمانة العرض وأمانة المال.

النص الثالث: «ولا يزنين».

فالعفاف والطهر هو عنوان الأسرة المسلمة، والمرأة التي لا تمنع يد لامس وتخون الحياة الزوجية، سواء كانت الخيانة بنظرة أو قبلة أو خلوة أو فاحشة، فإنها لا تستحق شرف الحياة الزوجية، ولا تؤمن على أولادها، وقد برئت منها ذمة الله ورسوله.

النص الرابع: «ولا يقتلن أولادهن».

فوأد الأولاد وقتلهم لأي سبب كان هو من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر، ويلحق به الإجهاض وهو إسقاط الجنين من الرحم، فكلاهما جناية وفاحشة يتعرض الفاعل لهما لسخط الله وعقابه.

النص الخامس: «ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن».

يعني ولا يلحقن بأزواجهن أولادًا ليسوا منهم، فالآية الكريمة نهت فيما سبق عن الزنا والفواحش لمجرد الاستمتاع، فإن حملت المرأة سفاحًا ونسبت طفلها إلى زوجها فقد حرم الله عليها الجنة، لأنها أدخلت عليه أجنبيًا يرثه من غير حق، ويطلع على عورات النساء المحارم وهو أجنبي عنهن.

النص السادس: « ولا يعصينك في معروف».

جاء في الصحيح أن هذا شرط شرطه الله للنساء، وذكر أصحاب الحديث في معناه أن الرسول ﷺ **«منع النساء أن ينحن على الميت، وكان نساء الجاهلية يمزقن الثياب ويخدشن الوجوه ويقطعن الشعور ويدعون بالويل والثبور»**.

وفي الصحيحين أن الرسول ﷺ قال: **«ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية»**.

وبعد.. فهذه هي نصوص البيعة العامة من النساء لرسول الله ﷺ، وهي تتضمن: استقامة العقيدة، وشرف العرض، وأمانة الأموال، والصبر الجميل.

* * *

مع هند بنت عتبة

لهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان مواقف خاصة مع الرسول ﷺ والمسلمين، ففي غزوة بدر الكبرى كان زوجها أبو سفيان من أسبابها الرئيسية حين سمع المسلمون بقافلة تجارية يقودها، فحاول المسلمون أن يعترضوها كتعويض لهم عما تركوه في مكة من ديار وأموال، إلا أن أبا سفيان استطاع أن يفلت بالعير ويستنفر قومه لمواجهة المسلمين، فوقعت غزوة بدر الكبرى التي انتصر فيها المسلمون انتصارًا ساحقًا، وصدق الله حيث يقول: **﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾**[1].

وقد فقدت هند بنت عتبة بعض ولدها وإخوتها في هذه الغزوة، فانطوى قلبها على حقد أسود وبغض كريه، حتى كانت غزوة أُحد، فخرجت قريش على بكرة أبيها، وقادت هند مجموعة النساء اللآتي يضربن بالدفوف خلف الرجال ويحرضنهم، وكانت تقول:

إن تقبلوا نعانق ... ونفرش النمارق

أو تدبروا نفارق ... فراق غير وامق

ويشاء الله أن يبتلى المسلمون في أُحد ابتلاء عظيما ويسقط كثير من الشهداء، فوقفت هند والنسوة اللآتي معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ، يجدعن الآذان والآنف ويتخذنها قلائد وأقراطًا.

وتدور الأيام ويأتي يوم الفتح الأكبر، فيسلم أبو سفيان وتسلم معه زوجه هند بنت عتبة، وسبحان مقلب القلوب.. وتأتي هند لتبايع رسول الله ﷺ بيعة النساء في قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**[2].

(١) سورة الأنفال، الآيتان: ٧-٨.

(٢) سورة الممتحنة، الآية: ١٢.

وقد أبدت هند أثناء البيعة بعض ملاحظات دقيقة:

منها أنها عندما سمعت «ولا يسرقن» قالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم، فضحك الرسول الكريم ﷺ، وضحك أبو سفيان وقال لزوجته: ما أصبت من شيء مضى أو قد بقي فهو لك حلال.. وحكم رسول الله ﷺ فقال لها: **«خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف»**.

فالتصرف المالي للمرأة من مال زوجها إما أن يكون داخل الأسرة أو خارجها، ففي داخل الأسرة إن كان زوجها بخيلا ويمنعها حقها في النفقة والكسوة فلها أن تأخذ كفايتها المشروعة في حدود العرف ومن غير إسراف حتى ولو لم يعلم.

أما تصرفها خارج الأسرة من مال زوجها فلا بد فيه من إذن، والإذن قد يكون عامًا وقد يكون خاصًا، ففي الأمور التي تطيب بها النفوس عرفًا، كإعطاء سائل لقمة أو لقمتين، فلا ضير عليها، ولكل منهما الأجر والثواب، للمرأة بما أنفقت وللرجل بما كسب. وفي صحيح الحديث: **«إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب وللخازن مثل ذلك لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئًا»**.

أما إذا تجاوزت العادة أو كان قدرًا كبيرًا فلابد من إذن خاص من الزوج، فإن خالفت كان الوزر والعقاب عليها والأجر والثواب له وحده.

كذلك من ملاحظات هند أثناء البيعة عند قوله «ولا يزنين» أنها قالت بلسان الفطرة السليمة: يا رسول الله، وهل تزني امرأة حرة؟!

فهذا التساؤل التعجبي يدل على أن الطبع السليم والذوق الإنساني الأصيل يأنف من الفاحشة وينفر منها.

والنهي عن الزنا نهي عن مقدماته، وقد لعن النبي ﷺ المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء، وقال ـ كما في صحيح البخاري ـ: **«أخرجوهم من بيوتكم»**.

فعلى المسلم إذا وجد مخنثًا يصاحب ابنه، أو وجد بنتًا أو امرأة مترجلة تدخل بيته، أن يمنع دخولهم، ولا يقر مصاحبتهم لأهل بيته.

ونهى الإسلام عن الخلوة بالأجنبية، فقال عليه الصلاة والسلام ـ كما رواه البخاري ـ **«إياكم والدخول على النساء، فقال رجل: يا رسول الله، أفرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت»**.

والحمو قريب الزوجة أو الزوج غير المحرم، كابن عمها أو ابن خالتها أو أخي زوجها.. فهؤلاء أجرأ عليها من الأجنبي.

وحدد الإسلام للمرأة زينة لا يراها أجنبي، فقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾**[١].

وقد طلب الإسلام طلبًا قويًا من الرجل أن يكون بصيرًا بأهله فلا يقر عليهم خبثًا، وقد قال عليه الصلاة والسلام: **«لا يدخل الجنة ديوث»**.

والديوث: هو الرجل لا غيرة له ويرضى بالهوان في عرضه.

* * *

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٩.

المرأة العروس

جاء في صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أبصر النبي ﷺ نساء وصبيانًا مقبلين من عرس، فقام ممتنًا فقال: «**اللهم أنتم من أحب الناس إليّ**».

وذلك لأن الزواج في الإسلام عبادة يستعان بها على العفاف الشريف، وكل من شارك فيه كلمة طيبة أو مساعدة كريمة أو تيسيرًا له، فقد حظى بحب رسول الله ﷺ .

وليس هناك وقت معين يتحتم فيه الزفاف، كما أنه ليس هناك وقت يكره فيه، فكل أيام السنة محل للعقد والزفاف، اللهم إلا المحرم بالحج والعمرة فيمنع عليه عقد الزواج ومعاشرة النساء.

وكان العرب في الجاهلية يتشاءمون من الدخول في شهر شوال لما في اسم شوال من الإشالة والرفع، ولكن عائشة رضي الله عنها تقول كما في الصحيح: تزوّجني رسول الله ﷺ في شوال وبنى بي في شوال، فأي نساء رسول الله ﷺ كان أحظى عنده مني.

ويجوز الزفاف والدخول على العروس نهارًا وليلا، وقد دخلت السيدة عائشة ضحى. وقد ترجم البخاري في صحيحه فقال: (باب البناء بالنهار بغير مركب ولا نيران)، ويستحب اجتماع النسوة لتطييب العروس وتزيينها ومؤانستها وتعليمها آداب اللقاء بالزوج.

وتحكي أم المؤمنين عائشة عن يوم زفافها فتقول: إن أم رومان – وهي أم عائشة – أخذتني فأدخلتني الدار فإذا نسوة من الأنصار، فقلن: على الخير والبركة وعلى خير طائر، فأسلمتني إليهنّ فغسلن رأسي وأصلحنني.

فزينة العروس يجب أن يتولاها النساء، ولا يجوز شرعًا أن يقوم رجل على أمرها. فإن جسد المرأة عورة لا يحل شرعًا النظر إليه ولا ملامسته من أجنبي إلا لضرورة قاهرة، كعلاج وتطبيب.

والرجل الذي يعمل في تجميل النساء هو رجل مقيم على معصية ومصر عليها، ويكتسب سحتًا خبيثا، ويخشى عليه سوء الخاتمة من كثرة ممارساته لمنكرات الفواحش.

كذلك فإن زينة العروس إنما هي في حدودها الشرعية، فلا يجوز وصل الشعر بما يسمى الباروكة، ولا طلاء الأظافر بما يمنع صحة الوضوء للصلاة لتكوين طبقة من الطلاء تمنع وصول الماء.

وفي صحيح مسلم عن أسماء بنت أبي بكر قالت: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن لي ابنة عروسًا أصابتها حصبة فتمرق شعرها، أفأصله؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «**لعن الله الواصلة والمستوصلة**».

وقد فصل العلماء هذا الحكم فقالوا إن وصل الشعر بشعر آدمي حرام، لأن كل أجزاء الإنسان يجب احترامها فتدفن، وإن أخذ الشعر من ميتة أو حيوان لا يؤكل، فهو حرام أيضًا، لنجاسته، أما الشعر الطاهر من غير الآدمي أو الأسلاك الصناعية فهي جائزة للمرأة المتزوجة فقط بإذن زوجها وبحيث لا يراها أجنبي.

ومما يجب التنبيه عليه أن زينة العروس إنما هي بين النساء فقط ولزوجها الذي تزف إليه دون اختلاط مع الأجانب، فإن بعض الناس اليوم يتخذون من حفلات العرس أماكن لإهدار القيم ومحادة الله ورسوله وتحصل أوضاع يندى لها جبين الرجل الحر.

هذا ولا بأس شرعًا أن تقوم العروس بخدمة الرجال في وليمة العرس ما دامت في زيها الإسلامي ووقارها الديني وبلا خضوع بالقول أو إثارة. وقد ترجم الإمام البخاري في صحيحه فقال (باب قيام المرأة على الرجال في العرس وخدمتهم بالنفس)، ثم ساق الحديث التالي:

(لما عرس أبو أُسيد الساعدي ودعا النبي ﷺ وأصحابه فما صنع لهم طعامًا ولا قربه إليهم إلا امرأته أم أُسيد، بلت تمرات في تور من حجارة من الليل، فلما فرغ النبي ﷺ من الطعام أماثته له فسقته تتحفه بذلك).

وفي رواية: أن أبا أُسيد الساعدي دعا النبي ﷺ لعرسه، فكانت امرأته خادمهم يومئذ وهي العروس.

وقد جاء هذا المعنى (وهو خدمة المرأة للرجال) في القرآن المجيد حين حكى مجيء الملائكة لإبراهيم الخليل على هيئة البشر فقدم إليهم الطعام، وكانت امرأته هي خادمهم على المائدة قبل أن تعرف أنهم ملائكة، قال تعالى: ﴿**وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ**﴾(١)، فقد ورد في معنى (قائمة) عدة معان، منها أنها كانت قائمة على أمر الطعام تقدمه لهم.

فالمدار كله على أدب النفس وعفة السلوك ووقار الزي ومراقبة حدود الله.

(١) سورة هود، الآية: ٧١.

المرأة الكارهة

تحكي كتب الصحاح أن امرأة ثابت بن قيس كانت شابة جميلة، رفعت جانب الخباء يومًا فرأت زوجها أقبل في صحبة من إخوانه، فإذا هو أشدهم سوادًا وأقصرهم قامة وأقبحهم وجهًا.

فذهبت إلى رسول الله ﷺ وقالت: يا رسول الله، ثابت بن قيس لا أعتب عليه في خلق ولا دين، ولكني أكره الكفر في الإسلام.. أي أنه لم يصنع بها شيئًا يقتضي الشكوى منه، ولكنها لشدة كراهتها له ربما تكفر العشرة بأن تقصر في حقه أو نحو ذلك مما يتوقع من الشابة الجميلة المبغضة لزوجها، أو ربما خشيت أن تحملها شدة الكراهة له على إظهار الكفر لينفسخ نكاحها منه، فقال لها عليه الصلاة والسلام «**أتردين عليه حديقته؟!**» وكان ذلك صداقها. فقالت: نعم، فقال عليه الصلاة والسلام لزوجها: «**اقبل الحديقة وطلقها تطليقة**».

وهذا الأمر من رسول الله ﷺ أمر إرشاد ونصح وإصلاح لا أمر وجوب، وهذا أول خلع في الإسلام، وهو فراق زوج يصح طلاقه لزوجته بعوض راجع لجهة الزوج بلفظ طلاق أو خلع أو نحوهما.

فالحياة الزوجية لا تقوم على القهر أو الكره، ورسول الله ﷺ حريص على استقرار الحياة الزوجية وسعادتها، فما لم يكن وفاق بين الزوجين وتحمل من الطرفين وحرص منهما على استمرار العلاقة بينهما، فلا كانت تلك الأسرة.

وعندما تكون المرأة هي المبغضة وليست على استعداد للمشاركة والبناء فمن حقها أن تطلب الطلاق ولكن عليها أن تتحمل تبعات ذلك، فترد على زوجها ما أصدقه إياها وما أنفقه عليها، فهذا خير وأقوم سبيلا ﴿ **وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاً مِّن سَعَتِهِ** ﴾[1].

وجاء في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قصة وواقعة حال مؤداها أن امرأة تسمى (بريرة) كانت أمة متزوجة بعبد فأعتقت فثبت لها الخيار في استمرار الزواج أو فسخه، فاختارت الفسخ، وكان زوجها ويسمى (مغيثًا) يطوف خلفها في سكك المدينة يبكي ودموعه تسيل على لحيته حتى قال الرسول عليه الصلاة والسلام لعمه العباس: يا عباس، ألا تعجب من حب مغيث بريرة ومن بغض بريرة مغيثًا. !!

(١) سورة النساء، الآية: ١٣٠.

وتدخل الرسول الكريم ﷺ في الموضوع وقال للمرأة: لو راجعته، فقالت: يا رسول الله. أتأمرني؟ قال: «**إنما أنا أشفع**»، فقالت: فلا حاجة لي فيه.

وفي هذا الحديث فؤائد ذكرها العلماء، منها جواز الشفاعة من الحاكم عند الخصم في خصمه إذا ظهر حقه، وإشارته بالصلح أو الترك، وأنه لا ينبغي للشفيع أن يتأثر برد شفاعته، وأن المسلم لا يعير بحب المسلمة وإن أفرط فيه ما لم يأت محرمًا.

وهكذا فإفصاح المرأة عن كراهتها لرجل لا ترتضيه زوجًا لا يعتريها من جهته أدنى لوم، فإن الزواج مودة ورحمة، وقائم على كلمة الله وأمانته، ومنوط برغبات النفس وميولها..

وفي الصحيح أيضًا أن خنساء بنت خذام الأنصارية قتل زوجها في إحدى غزوات الرسول ﷺ، فأنكحها أبوها رجلا، فكرهت ذلك، وأتت النبي عليه الصلاة والسلام فقالت: إن أبي أنكحني وإن عمَّ ولدي أحب إليّ، أي أنها رفضت رأي أبيها وأرادت أن تتزوج أخا زوجها حتى يكون أحنى على أولادها، فحكم رسول الله ﷺ برد نكاحها من الرجل الذي اختاره أبوها.

وما لنا نذهب بعيدًا وعندنا واقعة خاصة في حياة الرسول الكريم ﷺ..

فتحدث الروايات أن النعمان بن الجون الكندي أتى النبي ﷺ فقال: ألا أزوجك أجمل أيم في العرب؟ فزوجه ابنته أميمة وقيل أسماء وبعثها مع أبي أُسيد الساعدي، فأنزلها في بني ساعدة ودخل عليها نساء الحي فرحين بها، ولما أدخلت على الرسول الكريم ﷺ ودنا منها قالت: أعوذ بالله منك، وفي رواية أن الرسول الكريم ﷺ دعاها فقالت: إنا قوم نؤتى ولا نأتي، وفي رواية أن الرسول ﷺ قال لها: «**هبي نفسك لي**»، فقالت: وهل تهب الملكة نفسها للسوقة، وكانت حديثة عهد بكفر.. فأهوى الرسول ﷺ بيده الشريفة يضعها عليها لتسكن، فقالت: أعوذ بالله منك..

عندئذ قال لها الرسول الكريم ﷺ: «**لقد عذت بعظيم**» وردها ردًا كريمًا، فأمر أبا أُسيد أن يكسوها رازقيين ويلحقها بأهلها[1].

ويقال: إنها لما وصلت إلى أهلها تصايحوا وقالوا: إنك لغير مباركة، ويقال: إنها ماتت كمدا..

(١) والرازقية: ثياب من كتان بيض طوال.

المرأة الحزينة

جاء في كتب الصحاح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مرّ النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر، وفي رواية: فسمع منها ما يكره، أي من نوح أو غيره، وفي رواية لمسلم ما يشعر بأنه ولدها ولفظه: (تبكي على صبي لها).

فقال عليه الصلاة والسلام لها: «**اتقي الله واصبري**».

فقالت المرأة وهي في حال نفسية مكروبة: إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي.. ولم تكن تعرف أنه رسول الله ﷺ، فمرّ بها الفضل بن عباس ونبهها إلى ما وقعت فيه، وقال لها: إنه النبي ﷺ.

وفي رواية لمسلم: فأخذها مثل الموت، أي من شدة الكرب الذي أصابها لما عرفت أنه النبي ﷺ، وإنما اشتبه عليها الرسول الكريم ﷺ، لأنه من تواضعه ﷺ لم يكن يستتبع الناس وراءه إذا مشى كعادة الملوك وأصحاب الجاه، مع ما كانت فيه من الوجد والبكاء.

فما كان من تلك المرأة إلا أن استجمعت قواها وأتت باب النبي ﷺ تعتذر عما فرط منها، فلم تجد عنده بوابين يمنعون الناس من الدخول عليه.

فقالت معتذرة: لم أعرفك يا رسول الله.

فقال لها عليه الصلاة والسلام: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**».

أي أول وقوع المصيبة، لأنه وقت الشدة، فالصبر حينئذ يكون صبرًا جميلا، ويترتب عليه جزاء الله الأوفى، بخلاف ما بعد ذلك، فإن المرء على طول الوقت يسلو ويتصبر، فكأنه عليه الصلاة والسلام يقول لها: دعى الاعتذار، فإن من شيمتي ألاّ أغضب إلا لله، وانظري إلى جزعك الذي ضيع عليك الثواب.

ويؤخذ من هذه الواقعة جواز زيارة القبور، سواء كان الزائر رجلا أو امرأة، وسواء كان المزور مسلمًا أو كافرًا، لأن المقصود هو تذكر الآخرة والعبرة الدافعة إلى الاستقامة.

لكن إذا لزم على زيارة النساء جزع أو منكر في الزي والسلوك كانت الزيارة حرامًا.. وقد قال عليه الصلاة والسلام كما في صحيح البخاري: «**ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية**».

وتحكي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت ـ كما في البخاري أيضًا ـ: لما جاء النبي ﷺ قتل ابن حارثة وجعفر وابن رواحة في غزوة مؤتة، جلس عليه الصلاة والسلام

يعرف فيه الحزن..

فأتاه رجل فقال: إن نساء جعفر، وذكر بكاءهنّ، فأمره عليه الصلاة والسلام أن ينهاهنّ، فذهب، ثم أتاه الثانية فأخبره أنهن لم يطعنه فقال: انههنّ، فأتاه الثالثة فقال: والله لقد غلبننا يا رسول الله.

فقال عليه الصلاة والسلام: «**فاحث في أفواههنّ التراب**».

والمراد به المبالغة في الزجر.. فإن الاحتساب والاسترجاع والتسليم لله أجدى وأنفع، فلله ما أعطى ولله ما أخذ، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وإذا كان الرسول الكريم ﷺ قد خفف من غلواء المرأة في حزنها، فإنه عليه الصلاة والسلام أيضًا قد منع المبالغة غير الدقيقة في الرثاء، فتحدث أم العلاء ـ وهي امرأة من الأنصار ممن بايع النبي ﷺ ـ قالت: إنه لما اقتسم المهاجرون قرعة ـ في المؤاخاة ـ فطار لنا عثمان بن مظعون فأنزلناه في أبياتنا، فوجع وجعه الذي توفى فيه، فلما توفى وغسل وكفن من أثوابه دخل رسول الله ﷺ، فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله، فقال النبي ﷺ: «**وما يدريك أن الله أكرمه**»؟ قلت: بأبي أنت يا رسول الله فمن يكرمه الله؟! فقال: أما هو فقد جاءه اليقين، والله إني لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي!!

قالت أم العلاء: فوالله لا أزكى أحدًا بعده أبدًا.

وهكذا عالج الرسول ﷺ المرأة في حزنها ورثائها بحيث تلتزم الاعتدال دون مبالغة وتهويل.

وأحيانًا تأخذ هذه المعالجة شكلا نفسيًا فيه تريث ومرونة حتى يقتلع الأمر نهائيًا. فأخرج ابن جرير عن أم عطية قالت: كان فيما اشترط علينا رسول الله ﷺ من المعروف حين بايعناه ألاّ ننوح، فقالت امرأة: إن بني فلان أسعدوني، أي شاركوها في مأتم لها نواحًا، فلا أبايع حتى أجزيهم، فانطلقت المرأة فأسعدتهم ثم جاءت فبايعت.

وظلت هذه المرأة وفية لبيعتها، حريصة على دينها، مطمئنة لعدالة القضاء الأعلى.. حتى كانت هذه المرأة إحدى خمس نسوة ظللن أوفياء لبيعة الرسول ﷺ.

وفي صحيح البخاري: عن أم عطية قالت: بايعنا النبي ﷺ فقرأ: «**على ألا يشركن بالله شيئًا**»، ونهانا عن النياحة، فقبضت امرأة منا يدها فقالت: فلانة أسعدتني وأنا أريد أن أجزيها، فلم يقل شيئًا، فذهبت ثم رجعت، فما وفت امرأة إلا أم سليم وأم العلاء وابنة أبي سبرة وامرأة معاذ.

المرأة المجاهدة

للمرأة المسلمة جهاد مع رسول الله ﷺ سجله التاريخ في صفحات بارزة، فأول شهيدة في الإسلام هي (سمية) أم عمار بن ياسر، قتلها المشركون وهي تأبى إلا الإسلام، وكان بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة، فيمر بهم رسول الله ﷺ فيقول: «**صبرًا آل ياسر، موعدكم الجنة**».

وحظيت أسماء بنت أبي بكر بوسام (ذات النطاقين) لأنها شقت نطاقها ـ وهو ما يشد به الوسط ـ لتربط الزاد على الناقة للرسول ﷺ وصاحبه أبي بكر يوم الهجرة.

وعندما أذن الله لنبيه ﷺ بالقتال شاركت نساء المسلمين، يسقين الماء ويداوين الجرحى..

بل إن بعضهن حمل السلاح وأثبتن كفاءة قتالية، وتحكي نسيبة بنت كعب عن يوم أحد فتقول: خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ ، فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراح إليّ..

وقد أصيبت نسيبة بجرح أجوف له غور في عاتقها، وقد سئلت عمن أصابها بهذا الجرح، فقالت: ابن قمئة ـ أقمأه الله ـ أي أذله، لما ولى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول: دلوني على محمد، فلا نجوت إن نجا، فاعترضت له ومصعب ابن عمير وأُناس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ ، فضربني هذه الضربة، ولكن فلقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كان عليه درعان..

وإذا انتقلنا إلى يوم الخندق نجد صفية بنت عبد المطلب تحكي موقفًا آخر، فبينما هي في حصن مع النساء والصبيان إذ مر بالحصن رجل من يهود بني قريظة الذين انضموا إلى قريش وقطعوا معاهدتهم مع رسول الله ﷺ ، فقالت صفية لحسان ابن ثابت، وكان جالسًا معهنّ: يا حسان، إن هذا اليهودي يطيف بالحصن، وإني

والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود، وقد شغل عنا رسول الله ﷺ وأصحابه، فانزل إليه فاقتله.

قال: يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا..!!

قالت صفية: فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئًا احتجزت ـ أي شدت وسطها ـ ثم أخذت عمودًا ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته.. فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن فقلت: يا حسان انزل إليه فاسلبه، أي خذ ما معه، فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل، قال: مالي بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب!!

وتحكي امرأة من بني غفار أنها أتت مع نسوة إلى رسول الله ﷺ وهو يسير إلى خيبر، فقلن: يا رسول الله، قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا فنداوي الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا، فقال عليه الصلاة والسلام: «**على بركة الله**».

فلما فتح رسول الله ﷺ خيبر جعل لهؤلاء النسوة نصيبًا من الفيء وأعطى هذه المرأة الغفارية قلادة علقها بيده الشريفة في عنقها.

وظلت هذه القلادة لا تفارقها أبدًا حتى ماتت، فأوصت أن تدفن معها..!!

هكذا كانت المرأة المسلمة حريصة على دينها، وفيَّة لقيمها، مشاركة في إعلاء كلمة الله ونصرة رسوله ﷺ .

* * *

صلاة المرأة في المسجد

كان مسجد رسول الله ﷺ ملتقى المسلمين جميعًا رجالا وأطفالا ونساء، إلا إن الصفوف الأولى إنما هي للرجال، يليها صفوف الصبية ثم صفوف النساء، وتحدث أم سلمة زوج النبي ﷺ ــ كما في صحيح البخاري ــ أن النساء في عهد رسول الله ﷺ كنّ إذا سلمن من المكتوبة قمن وثبت رسول الله ﷺ ومن صلى من الرجال ما شاء الله.

والمعنى أن النساء تخرج أولا بسرعة عقب الصلاة وينتظر الرجال قليلا حتى لا يحصل اختلاط ومزاحمة عند الخروج من المسجد.

وقد حرص الرسول الكريم ﷺ على تخصيص النساء بمزيد التعليم والإرشاد، فتقول أم عطية: أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرجهن في الفطر والأضحى، العواتق والحيض وذوات الخدور، فأما الحيض فيعتزلن الصلاة ويشهدن الخير ودعوة المسلمين.. قلت: يا رسول الله، إحدانا لا يكون لها جلباب، قال: **«لتلبسها أختها من جلبابها»**.

فلقد كان حرص رسول الله ﷺ على أن تخرج المرأة لمجامع الخير وحلق العلم تصحح عقيدتها وتطهر سلوكها.

والعواتق: جمع عاتق، وهي بلغة العصر الآنسة: وذوات الخدور هن أصحاب البيوت أو المتزوجات.

وفي هذا اليوم المشهود من الأضحى والفطر كان رسول الله ﷺ بعد الصلاة والخطبة يشق صفوف الرجال ويأتي إلى النساء ليعظهنّ ويذكرهنّ ويأمرهنّ بالصدقة ومعه بلال باسط ثوبه.

وتحدثنا كتب الصحاح أن رسول الله ﷺ قال: **«إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه»**.

إلى هذا الحد آثرت المرأة أن تصلي خلف الرسول الكريم ﷺ رغم ما يشغلها، تنفيذًا للأمر النبوي الكريم: **«لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»**.

وقد وقع لعبد الله بن عمر موقفان يتعلقان بخروج المرأة إلى المسجد: فهناك

حديث صحيح يرويه ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها»**.

فقال بلال بن عبد الله: والله لنمنعهن، فأقبل عليه ابن عمر فسبه سبًا سيئًا وقال: أخبرك عن رسول الله وتقول: والله لنمنعهن. !!

أي ان ابن عمر يستكثر ويأبى أن يكون لإنسان رأى أمام تشريع الله.

وقد تكرر هذا الموقف من ابن عمر مع ولد له يقال له (واقد). فقد أخبر ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: **«ائذنوا للنساء بالليل إلى المسجد»**، فرد عليه واقد قائلا: إذن يتخذنه دغلا، أي فسادًا وخداعًا وريبة، فضرب ابن عمر في صدر ولده وقال: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول: لا.

إذن فالأصل أن المسلمة مطالبة بالذهاب إلى المساجد للصلاة وتلقي العلم، وإذا قلنا: المسلمة، فمعنى ذلك أنها امرأة ملتزمة بأدب الله وأدب رسوله في زيها وخروجها أمام الأجانب، بحيث تغطي جميع بدنها ما عدا الوجه والكفين بغطاء ساتر غير شافٍ ولا مجسم ولا يشبه لباس الرجال، وليست متعطرة تجرح حياءها وتفسد على الناس عبادتهم.

وفي حديث رواه الترمذي: **«كل عين زانية، والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا»** يعني ارتكبت جريمة تقرب بها إلى الفاحشة.

وتحكي زينب امرأة عبد الله قالت: قال رسول الله ﷺ: **«إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيبًا»**.

فزينة المرأة هي لنفسها ولزوجها وأمام المحارم فقط، ولا يجوز أن تتبرج وتبدي مفاتنها أمام الأجانب، فذلك وضع لا يليق بعاقل.

ولعل هذا المعنى هو ما قصدته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما قالت: لو رأى رسول الله ﷺ ما أحدث النساء بعده لمنعهن المساجد كما منعت نساء بني إسرائيل.

فعائشة لم تمنع ذهاب المسلمة القانتة إلى المسجد، وإنما منعت الكاسيات العاريات المائلات المميلات، فهؤلاء لم يرهنّ المصطفى الكريم ﷺ.

وإن المرأة اليوم قد خرجت إلى كل مكان ما عدا المسجد، فأحرى بنا أن نعود بالمرأة إلى المسجد لتجد عفافها وشرفها بعد أن تفرقت بها السبل واستهوتها الشياطين.

القضية الرابعة:

الرسول ﷺ والدعوة إلى الله تعالى

- ❁ شخصية الداعية.
- ❁ أدب الدعوة.
- ❁ بأساء الدعوة.
- ❁ خطبة الجمعة.
- ❁ وقت الجمعة.
- ❁ أدب الجمعة.

شخصية الداعية

إن الإسلام يوم دعا الناس في مكة إلى عقائده لم يكن لديه مغريات مادية، فالحق وحده له سناؤه وصولته، وشخصية الداعية هي محور الدائرة في نجاح الدعوة..

وشخصية سيدنا محمد ﷺ أعمق من أن تصفها كلمات أو عبارات، وحسبك أن يجد فيها كل إنسان مناط قدوة حسنة في كافة الأحوال، سرائها وضرائها، عسرها ويسرها..

وأهم ما يميز شخصية الداعية هو الثبات على المبدأ والاعتزاز به مهما كانت العوائق والمثبطات، وتحدثنا كتب السير أن وفدًا من قريش ذهب إلى أبي طالب وقال له: يا أبا طالب، إن لك سنًا وشرفًا ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين.

فلما عرض أبو طالب الأمر على رسول الله ﷺ حلق ببصره إلى السماء ثم قال كما أخرج الطبراني والبخاري في التاريخ: **«والله ما أنا بأقدر أن أدع ما بعثت به من أن يشعل أحدكم من هذه الشمس شعلة من نار»**.

ومرة أخرى انحنى التاريخ وهو يسجل هذه العبارة لرسول الله ﷺ : **«يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته»**.

وشأن الداعية أن يبدأ بأهله وعشيرته وأقربائه ليكونوا سندًا له أو ليكونوا حجة له.

وهذا ما حدث من رسول الله ﷺ ، فعندما نزل قوله تعالى: ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**﴾[1] خرج حتى علا المروة ونادى على بطون قريش، فلما حضروا قال لهم: **«إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، وأنتم الأقربون من قريش، وإني لا أملك لكم من الله حظًا ولا من الآخرة نصيبًا إلا أن تقولوا لا إله إلا الله، فأشهد بها لكم عند ربكم وتدين لكم العرب وتذل لكم بها العجم»**.

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

وفي رواية أنه ﷺ صعد الصفا ثم نادى: «**يا صباحاه** ـ وهي كلمة استغاثة ـ فاجتمع الناس إليه، فقال عليه الصلاة والسلام: **يا بني عبد المطلب، يا بني فهد، يا بني كعب.. أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟** قالوا: نعم، قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**»، فقال أبو لهب: تبًا لك سائر اليوم، أما دعوتنا إلا لهذا؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**﴾.

والحق لا يقاس بالأعداد ولا يعرف بالرجال وإنما المنهج الإسلامي أن الرجال يعرفون بالحق ويوزنون به، ولهذا لا يضير الداعية قلة الأتباع أو انصراف الناس عنه في لحظة من اللحظات، وحسبه أن يقف معه من آمن على بصيرة، وصدق ما عاهد الله عليه.. وفي صحيح الحديث أن الرسول ﷺ قال لعلي بن أبي طالب يوم خيبر: «**فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم**»..

وحمر النعم: هي الإبل حمراء اللون، وكان العرب يعتبرونها من أنفس الأموال.

وداعية الحق والصدق يعرف دائمًا أن العاقبة للمتقين وأن فجر النصر حليف المؤمنين مهما طال الليل.. وهذا ما يجب أن يشعر به الدعاة من تفاؤل وكبير ثقة بوعد الله في مثل قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا**﴾(1).

وأخرج أحمد والطبراني عن تميم الداري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار**» أي سينتشر في الآفاق ويعيش المسلمون الأوفياء لدينهم في مشارق الأرض ومغاربها، وقد صدق الله وعده ونصر عبده وأعز جنده، وقامت حضارة الإسلام، وحققت في دنيا الناس الفردوس الأرضي في ظلال المنهج الإلهي الأسمى..

صلى الله وسلم وبارك على هذا النبي الكريم..

* * *

(1) سورة النور، الآية: ٥٥.

أدب الدعوة

جاء في صحيح البخاري عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت للرسول الكريم ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من أُحد؟!

فقال عليه الصلاة والسلام: «**لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة (يوم الطائف) إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا به عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم.. فناداني ملك الجبال، فسلم علي ثم قال: يا محمد، الأمر ذلك، فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟**» - وهما جبلان محيطان بمكة -.

ماذا كان رد الرسول الداعية ﷺ في هذا الموقف الذي دميت فيه قدماه الشريفتان من الحجارة التي رضحه بها السفهاء والصبيان من أهل الطائف؟! لقد قال عليه الصلاة والسلام «**بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا**».

إن الدعوة إلى الله تعالى ليست تسلطًا على رقاب الناس، وليست لعنات تصب عليهم، وإنما هي حكمة وموعظة حسنة وشعور من الأخوة فياض يسعى إلى أن يكون الناس سعداء بدين الله..

ويعبر عن هذا الشعور قوله تعالى على لسان سيدنا شعيب: ﴿**إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾(1).

لقد كان من عادة سيدنا محمد ﷺ أن يعمم النصيحة ولا يجابه أحدًا بما يكره ما دام هذا كافيًا للإصلاح، فشعاره الدائم: «**ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا**».

حتى في أصعب المواقف وأشدها على النفس وآلمها على القلب، مثل حادثة الإفك التي روّج لها عبد الله بن أُبيّ زعيم المنافقين ورأس الفتنة، وقف الرسول ﷺ على المنبر وقال: «**يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي،**

(1) سورة هود، الآية: ٨٨.

فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرًا، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرًا وما كان يدخل على أهلي إلا معي».

هذا ومن واجب الداعية وأدب الدعوة معًا أن يبادر المرء إلى تصحيح الخطأ ولفت الأنظار إلى الحق، مع عدم استغلال الأحداث في مجد زائف أو بطولة متهافتة..

وذات يوم انكسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ، وصادف ذلك يوم مات ابنه إبراهيم، فقال الناس: انكسفت الشمس لموت إبراهيم، أي أنهم ظنوا أن كسوف الشمس في ذلك الوقت لون من ألوان الحداد على موت إبراهيم.

ولكن الرسول الإنسان ﷺ - وهو في موقفه العصيب - لم ينس واجب الدعوة وضرورة تصحيح مفاهيم الناس، فقام مسرعًا يجر رداءه حتى دخل المسجد وجمع الناس لصلاة جامعة، ثم قال: **«إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فصلوا وادعوا الله حتى ينكشف ما بكم»**.

ومن أدب الداعية أيضًا الرفق بالجاهل وتعليمه في أناة وصبر من غير تعنيف وتسفيه.. وأسوق واقعة لو رآها أحد اليوم ما سلمت من جلبة وعنف وشحناء..

ففي الحديث الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مه مه.. قال عليه الصلاة والسلام: **«لا تزرموه - لا تقطعوا عليه بوله - دعوه»**، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: **«إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن»**، ثم أمر الرسول ﷺ رجلا من القوم فجاء بدلو من ماء فشنّه عليه، أي صبه على موضع النجاسة.

وهكذا أمرهم الرسول ﷺ بالكف عن الأعرابي الجافي، ارتكابًا لأخف الضررين، لأنه إن قطع بوله أضر بنفسه، وهو أعظم من زيادة تنجيس المسجد، وإن استمر ربما نفر فنجس مواضع أخرى أكثر من الموضع الأول، وقد ينجس بدنه أيضًا، فيزداد الأمر اتساعًا وتزداد النجاسة انتشارًا، ولهذا تركه الرسول عليه الصلاة والسلام حتى انتهى، فدعاه وعلمه في رفق ناصح وليس في عنف معير.

وصدق الله العظيم حيث يقول: **﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾**[1].

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

بأساء الدعوة

الصراع بين الحق والباطل قديم قدم الإنسان، عميق عمق التاريخ، باق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.. قال تعالى: **﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾**[1].

فالشدائد محك الرجولة ومجال تربية العزائم، ومن الخير أن تظهر النفسيات على حقيقتها، وصدق الله حيث يقول: **﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾**[2].

وعلى هذه السنة كان سير الدعوة الإسلامية، فقد أذن سيدنا محمد ﷺ في قومه بالتوحيد والفضيلة وعز الدارين، فما كان من قومه إلا النفور والاستكبار وقلب الحقائق، وقالوا - كما حكى القرآن - **﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾**[3].

وفي رفضهم للدعوة وعنادهم للحق سلكوا مسالك شتى:

بدأوا مرحلة من الإيذاء الفردي، فأطلقوا أيديهم وألسنتهم بالسوء على الرسول ﷺ والمسلمين، وقد أخرج البخاري عن عروة رضي الله عنه قال: سألت ابن العاص رضي الله عنه فقلت: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله ﷺ، قال: بينما النبي ﷺ في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه على عنقه فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ وقال: **﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾**.

وقد سجل القرآن ما وصف المشركون به رسول الله ﷺ من السحر والشعر والكهانة والجنون والكذب في أكثر من آية وفي أكثر من سورة.. قال الله تعالى: **﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾**[4].

ولما فشل المشركون في هذا الجانب لجأوا إلى المساومة والإغراء، فجاء أشراف قريش وعرضوا عرضًا سخيًا على رسول الله ﷺ وقالوا: إن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا، وإن كنت تريد به ملكًا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥١.
(٢) سورة محمد، الآية: ٣١.
(٣) سورة ص، الآية: ٥.
(٤) سورة سبأ، الآية: ٤٣.

يأتيك رئيًا تراه قد غلب عليك ـ وكانوا يسمون التابع من الجن رئيًا ـ فربما كان ذلك بذلنا لك أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك، فقال عليه الصلاة والسلام: ما بي ما تقولون، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولا وأنزل على كتابًا وأمرني أن أكون لكم بشيرًا ونذيرًا، فبلغت رسالات ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم.

حينئذ تابع المشركون وسائل العنف والإكراه حتى تحولوا إلى سياسة التجويع والمقاطعة، فتركوا بني هاشم وبني المطلب جميعًا في شعب بالجبل في عزلة تامة ومنعوا عنهم كل أسباب الحياة مدة ثلاث سنين، أكل المسلمون خلالها أوراق الأشجار.

ووسط هذه المحن وقف الرسول الكريم ﷺ وأصحابه كالطود الراسخ الأشم، فما زلزل أقدامهم وعيد ولا نال من عقيدتهم تعذيب، واطمأنوا إلى وعد الله تعالى في مثل قوله: **﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾**(١).

وعندما هاجر الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة بعدما ائتمر به المشركون ليقتلوه خرج وهو يتلفت إلى موطنه مولدًا ونشأة وأهلا ويقول: **«والله إنك لأحب أرض الله إلى الله وأحب أرض الله إليّ، ولولا أن قومك أخرجوني ما خرجت»**.

ولما أذن الله لنبيه والمسلمين بالقتال ردًا للعدوان ودفعًا للظلم وتأمينًا للعقيدة، وقعت شدة شديدة وبأساء مؤلمة، فقد كسرت رباعية رسول الله ﷺ يوم أحد، وشج في رأسه، وقتل عمه حمزة بن عبد المطلب، وكثر الشهداء من المسلمين على مدى عشر سنوات هي مدة إقامته بالمدينة بعد الهجرة.. ومع ذلك فقد جاء نصر الله والفتح..

فالإيمان ليس شهوة نفس ومتعة حياة، ولكنه قيم فاضلة ومثل رائدة في حياة المجتمع المثالي.

والإسلام لا يقدم للناس إغراء ماديًا أو جنسيًا، ولكنه الدين القيم والرسالة الخاتمة والحق الذي يهدي للتي هي أقوم.

وصدق الله حيث يقول: **﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾**(٢).

(١) سورة يوسف، الآية: ١١٠. (٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

خطبة الجمعة

جاء في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش، يقول: **صبحكم ومساكم**، ويقول: **«بعثت أنا والساعة كهاتين، ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى»**، ويقول: **«أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»**، ثم يقول: **«أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، ومن ترك مالا فلأهله، ومن ترك دينًا أو ضياعًا فإليّ وعليّ»**.

هذا الحديث الشريف يبين لنا حرص سيدنا رسول الله ﷺ على أمته، فعند الخطبة المتعلقة بأمر عظيم ينفعل انفعالا يتناسب مع الموقف، وقد سجل القرآن المجيد هذا المعنى عندما قال: **﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾**(١).

لكن هذا الانفعال لا يخرج عن حدوده المعقولة، ولا ينقلب إلى حركة هوجاء.

وأخرج مسلم في صحيحه أن عمارة بن رؤيبة رأي بشر بن مروان على المنبر رافعًا يديه فقال: قبح الله هاتين اليدين، لقد رأيت رسول الله ﷺ ما يزيد على أن يقول بيده هكذا، وأشار بإصبعه المسبحة.

ولم تكن خطبة رسول الله ﷺ طويلة مملة، بل كانت صلاته قصدًا، وخطبته قصدًا، وليست القضية متعلقة بالكم الذي يقال، وإنما هي أساسًا متعلقة بصدق العبارة وإخلاص القصد وحكمة التوجيه ومراعاة مقتضى الحال.

ولا بأس بتصحيح أوضاع طارئة أثناء الخطبة، فإن ارتباط الحكم بسبب يجعله أوقع وأثبت. وتحكي كتب الصحاح أن سُليكًا الغطفاني جاء يوم الجمعة ورسول الله ﷺ يخطب، فجلس فقال له: **«يا سليك، قم فاركع ركعتين وتجوز فيهما، ثم قال: إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجوّز فيهما»**.

ويحكي أبو رفاعة فيقول: انتهيت إلى النبي ﷺ وهو يخطب، فقلت: يا رسول الله، رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدري ما دينه؟ قال: فأقبل عليّ

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

رسول الله ﷺ وترك خطبته حتى انتهي إليّ، فأتي بكرسي حسبت قوائمه حديدًا، فقعد عليه رسول الله ﷺ وجعل يعلمني مما علمه الله، ثم أتى خطبته فأتم آخرها.

قال الإمام النووي: (وفي هذا الحديث استحباب تلطف السائل في عبارته وسؤاله العالم، وفيه تواضع النبي ﷺ ورفقه بالمسلمين وشفقته عليهم وخفض جناحه لهم، وفيه المبادرة إلى جواب المستفتى، وتقديم أهم الأمور فأهمها، ولعله كان يسأل عن الإيمان وقواعده المهمة، وقد اتفق العلماء على أن من جاء يسأل عن الإيمان وكيفية الدخول في الإسلام وجب إجابته وتعليمه على الفور، وقعوده ﷺ على الكرسي ليسمع الباقون كلامه ويروا شخصه الكريم، ويحتمل أن هذه الخطبة التي كان النبي ﷺ فيها خطبة أمر غير الجمعة، ولهذا قطعها بهذا الفصل الطويل، ويحتمل أنها كانت الجمعة واستأنفها، ويحتمل أنه لم يحصل فصل طويل، ويحتمل أن كلامه لهذا الغريب كان متعلقًا بالخطبة فيكون منها ولا يضر المشي في أثنائها)(١).

هذا وإن خطبة الجمعة لوثيقة الصلة بحياة المسلمين أفرادًا وجماعات فمعرفة سبيل الرشاد والتواصي بالحق وتوثيق عرى الأواصر الاجتماعية، والإبقاء على نقاء العقيدة وطهارة السلوك، وتحديد ملامح المجتمع الإسلامي سياسيًا واقتصاديًا وحضاريًا.. كل ذلك مرتبط بخطبة الجمعة.

وإن مصير المسلمين يتحدد دائمًا من فوق المنبر، فقد بدأ تاريخهم السياسي من فوق منبر الرسول ﷺ في المدينة، وتوالى بعده منبر دمشق ومنبر بغداد ومنبر الأزهر ومنابر المساجد في مشارق الأرض ومغاربها.

إن المنبر وسيلة وغاية؛ فهو وسيلة لدعوة الناس إلى الله قد يصاحبه فيها أجهزة أخرى، ولكنها جميعًا تسعى لغاية واحدة هي العودة بالناس إلى المسجد ليكون المنبر وحده هو مصدر الصوت الإلهي المقدس:

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾(٢).

* * *

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج٦، ص١٦٥.
(٢) سورة الجن، الآية: ١٨.

وقت الجمعة

جاء في الصحيح عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ كان يخطب قائمًا يوم الجمعة، فجاءت عير من الشام، فانفتل الناس إليها حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلا، فأنزلت هذه الآية التي في الجمعة: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾.

هنا موقف يجب التأمل فيه واتخاذ العبرة منه..

إن يوم الجمعة خير يوم طلعت فيه الشمس، وفيه اجتماع أسبوعي للمسلمين على سبيل الفريضة العينية للرجال البالغين العقلاء المقيمين.

وكان هذا اليوم يسمى في الجاهلية يوم العروبة، أي البين المعظم، ولم يصلّ المسلمون الجمعة إلا في المدينة حيث الاستقرار والنصرة والتمكين.

وخطبة الجمعة تجديد لشباب الإسلام، وتبصير لدعوة الحق، وربط لحياة المسلمين بآفاق الدين السامية.. ولذا كان يتولاها الرسول الكريم ﷺ بنفسه، وأداها الخلفاء الراشدون من بعده، وقام بها كل وال من ولاة المسلمين في عهودهم الزاهرة.

والموقف الذي نحن بصدده الآن يبين أن النبي ﷺ كان خطيبًا في الناس يوم الجمعة، فأقبلت عير لأحد التجار عليها طعام وبضاعة، وأحدثت جلبة في المكان، فانصرف الناس عن سماع الخطبة وخرجوا يلتمسون الشراء أو يستطلعون الخبر.. ولم يبق مع الرسول ﷺ في المسجد إلا اثنا عشر رجلا منهم أبو بكر الصديق وعمر ابن الخطاب وجابر بن عبد الله.

وذكر أبو داود في مراسيله أن خطبة النبي ﷺ هذه التي انفضوا عنها إنما كانت بعد صلاة الجمعة، وظنوا أنه لا شيء عليهم في الانفضاض عن الخطبة، وأنه قبل هذه القضية إنما كان يصلي قبل الخطبة.

وأيًا ما كان فإن الوحي الإلهي قد نزل مبينًا أدب المسلمين وقت الخطبة والصلاة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(١).

(١) سورة الجمعة، الآية: ٩.

فعند النداء لصلاة الجمعة يجب السعي إليها، والمراد به الاهتمام بها وعقد القلب عليها والذهاب إلى المسجد في وقار وسكينة، وليس المراد بالسعي المشي السريع، فهذا منهي عنه، ففي الصحيح أن الرسول ﷺ قال: «**إذا أتيتم الصلاة فامشوا وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا**».

وشأن المسلمين ألا يحصل بينهم بيع وشراء أو معاملة أثناء نداء الجمعة، فإن اتفاق العلماء على حرمة ذلك، واختلفوا هل يصح العقد أم لا؟ والظاهر بطلان العقد.

وعلى هذا لا يصح شرعًا مباشرة أي عمل ممن تجب عليه الجمعة وقت النداء، لأنه تعطيل لتلك الشعيرة الخالدة، وقد قال عليه الصلاة والسلام ـ كما في صحيح مسلم ـ: «**لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين**».

ثم جاءت الآية التالية: ﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾.

فالمسألة ليست تعطيلا عن الإنتاج أو إعاقة لسير العمل وإنما هي في الحقيقة تزود بخير الزاد وهو التقوى، وامتلاء القلب بالإيمان، وانشراح الصدر بنور الله، حتى يستطيع المسلم مواصلة الحياة الجادة الطاهرة، ولذا كان هذا الأمر الإلهي بالانتشار في الأرض وعمارة الكون وابتغاء فضل الله في الرزق الحلال، ويروى أن عراك بن مالك ؓ كان إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال: اللهم إني أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني، فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين.

ثم كانت الآية الثالثة: ﴿**وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾.

فيجب ألاَّ تشغلنا أموالنا وأهلونا عن مبادئ الدين وقيم الحياة المثلى، فليست الحياة مأكلا ومشربًا وشهوة، وإلا فالحيوان الأعجم أوفر حظًا منا، وإنما الحياة في حقيقتها قبل ذلك وبعده، صفاء نفس، وطهارة قلب، ونقاء فكر، واستقامة سلوك، في إطار منهج الله الذي يهدي للتي هي أقوم.

أدب الجمعة

كرّم رسول الله ﷺ يوم الجمعة بتكريم الله تعالى له، إذ جعله يومًا مشهودًا في الأرض وفي السماء.

فقد جاء في صحيح مسلم قول رسول الله عليه الصلاة والسلام: «**إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول، فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر**».

فالمسلم حين يفقه القول الكريم ويدرك أن الملائكة وهم عباد الرحمن يستقبلونه وهو ذاهب إلى المسجد، ويجلسون معه حين يسمع الخطبة، لا شك أنه يستشعر في قرارة فؤاده غبطة لا يعدلها شيء، وسرورًا لا يدانيه شيء.

ولذا فالمسلم يتهيأ لهذا الاجتماع المشهود بأفضل هيئة وأطيب رائحة، اقتداء برسول الله ﷺ.

فهو يبدأ بالغسل، وغسل الجمعة مستحب لكل إنسان، سواء كان رجلا أو امرأة أو صبيًا، وسواء حضر الصلاة أم منعه مانع شرعي، لظاهر قوله عليه الصلاة والسلام ـ كما في صحيح مسلم ـ: «**حق الله على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام، يغسل رأسه وجسده**».

وتحكي أم المؤمنين عائشة ؓ ـ كما في الصحيح أيضا ـ أن الناس كانوا ينتابون الجمعة ـ أي يأتونها ـ من منازلهم من العوالي ـ وهي قرى حول المدينة ـ فيأتون في العباء ويصيبهم الغبار فتخرج منهم الريح ـ أي تكن لهم رائحة كريهة ـ فكان ﷺ يقول لهم: «**لو أنكم تطهرتم ليومكم هذا**».

كذلك من أدب الجمعة الذي تكتمل به الزينة الشرعية قص الأظافر وإزالة الشعر من مواضعه المختلفة في الجسم والتي أشار إليها حديث رسول الله ﷺ: «**خمس من الفطرة: الختان والاستحداد وتقليم الأظافر ونتف الإبط وقص الشارب**».

وعندما يتهيأ المسلم للخروج إلى الصلاة يجدر به أن ينتقي ثوبًا خاصًا للجمعة يكون نظيفًا طاهرًا.. فهذا يوم لقاء بالمسلمين على تقوى من الله ورضوان..

وفي سنن أبي داود وابن ماجة عن عبد الله بن سلام ؓ أنه سمع رسول الله

ﷺ يقول على المنبر: «**ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته**».

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم الجمعة فرأى عليهم ثياب النمار ـ وهي بردة صوف تلبسها الأعراب ـ فقال: «**ما على أحدكم إن وجد سعة أن يتخذ ثوبين لجمعته سوى ثوبي مهنته**».

وبعد ذلك يتطيب المسلم ويسعى إلى الصلاة في سكينة ووقار، ويحسن الاستماع إلى الخطبة حتى يحظى بالبشرى التي وعده بها المصطفى ﷺ في قوله: «**من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام**» وذلك لأن الحسنة بعشر أمثالها.

وهكذا نجد في أدب الجمعة كما رسمه رسول الله ﷺ أدبًا رفيعًا لم يعهد في مذهب أو ملة أو نحلة سابقة على الإسلام أو لاحقة، فإن بعض هذه الملل والنحل تجعل ترك الغسل قربة إلى الله وتهمل نظافة الجسم رهبانية ابتدعوها.

وإن بعض الطوائف في عالمنا المعاصر ما زالت تعيش عصر الكهوف بشعوره المرسلة وملابسه الممزقة ورائحته المنتنة بما يسمى ظاهرة الهيبز.

وإن الناس ما زالوا في أرجاء شتى يطلقون أظافرهم، بل ويصبغونها بألوان متعددة تحمل الأقذار والأمراض معًا.

والإسلام وحده هو الذي يقول في محكم كتابه: ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ** ﴾[1].

والرسول ﷺ هو القائل: «**الطهور شطر الإيمان**».

صلى الله وسلم وبارك على هذا النبي العظيم.

* * *

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

القضية الخامسة :

الرسول ﷺ والشورى

❁ **الشورى يوم بدر.**

❁ **أسرى بدر.**

❁ **الشورى يوم أحد.**

❁ **الشورى يوم الخندق.**

الشورى يوم بدر

في أمر إلهي مشفوع بوصف كريم لرسول الله ﷺ قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[1].

فالرسول ﷺ ـ وهو الإنسان المصطفى والمؤيد بالوحي ـ يؤمر من قبل الله عز وجل بمشاورة المسلمين، وذلك فيما لا نص فيه، لأنه لا اجتهاد مع النص..

وحياة الرسول ﷺ مليئة بمواقف المشاورة وخاصة في الأمور المتعلقة بقضايا الحرب والسلام..

فبعد أن استقر الأمر للمسلمين في المدينة بدأ حنين المهاجرين إلى مكة يزداد، وبدأوا يفكرون فيما تركوا، فوقعت بعض المناوشات، وأرسلت بعض السرايا التي قصد منها تنبيه قريش إلى ضرورة التفاهم مع المسلمين تفاهمًا يقي الطرفين شرور العداوة والبغضاء، ويكفل للمسلمين حرية الدعوة إلى الدين، ولأهل مكة سلامة تجارتهم في طريقها إلى الشام.. واستمرت هذه المناوشات حتى كانت قافلة أبي سفيان، وخرج المسلمون لاعتراضها، لكن محاولات بذلت من أبي سفيان لإنقاذ تجارته، فأصبح الغد والمسلمون في انتظاره، فإذا الأخبار تصلهم أنه فاتهم وأن مقاتلة قريش على مقربة منهم.

هنا استشار الرسول ﷺ الناس وعرض عليهم الأمر وطلب منهم النصيحة، فقال المقداد بن عمرو: يا رسول الله، امض لما أمرك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد ـ موضع بناحية اليمن ـ لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه..

فقال له الرسول ﷺ خيرًا ودعا له، ثم أراد الاستيثاق من أمر الأنصار فقال: أشيروا علي أيها الناس، فهم الكثرة الغالبة والمدينة موطنهم، وهم قد بايعوا الرسول ﷺ بيعة العقبة على أن ينصروه في ديارهم، فتخوف ألاَّ يسيروا معه خارج المدينة..

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

هنا قام سعد بن معاذ فقال: فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا، على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا، إنا لصُبُر في الحرب، صُدُق في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله.

فتهلل وجه رسول الله ﷺ وقال: «**سيروا وأبشروا، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم**»..

هكذا أجمع الأنصار والمهاجرون على خوض المعركة في موقعة يكون مصيرها تحويل مجرى التاريخ.

ويتجلى في هذه المعركة صدق الإيمان وإخلاص العقيدة، فهاهم أولاء يعلمون أن قريشًا تفوقهم عددًا وعدة، ومع ذلك اعتزموا الوقوف في وجهها ومقاتلتها، وهاهم أولاء يرون الغنيمة فاتتهم فلم يصبح الجانب المادي هو الذي يحفزهم، ومع ذلك قاموا إلى جانب الرسول ﷺ يؤيدونه، ويعزرونه..

وعندما خرج المسلمون للمواجهة تقدمهم الرسول ﷺ، حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به، فتقدم إليه الحباب بن المنذر بن الجموح في أدب ومصارحة، فقال: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل، أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟

قال: «**بل هو الرأي والحرب والمكيدة**». فقال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب ـ أي نطمس ما وراءه من آبار ـ ثم نبني عليه حوضًا فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون.. فقال عليه الصلاة والسلام: «**لقد أشرت بالرأي**».

إن بدرًا توجهنا إلى أهمية السمع والطاعة والاجتماع على قائد واحد وتعلمنا دقة تنظيم الجيش وحسن توزيعه، والبراعة في تحديد المواقع، ونستقي منها شورى الرأي والنصح والنصيحة..

* * *

أسرى بدر

انتصر المسلمون في غزوة بدر الكبرى انتصارًا ساحقًا وانهزم المشركون هزيمة منكرة، فقد قتل سبعون منهم وأسر سبعون.

وعاد الرسول ﷺ من مكان المعركة إلى المدينة وأخذ يفكر في مصير هؤلاء الأسرى، فجمع أصحابه واستشارهم.

فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: يا نبي الله، هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكننا فنضرب أعناقهم، فتمكن عليًا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان (يعني نسيبًا لعمر) فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدهم..

فأخذ الرسول الكريم ﷺ يفكر في الأمر جيدًا، فقام فدخل بيته، فمكث ساعة، ثم خرج وهو يقول: إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللّبن، وإن الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة.. وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم عليه السلام قال: ﴿**فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[1]، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل عيسى عليه السلام قال: ﴿**إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[2].

وإن مثلك يا عمر كمثل موسى عليه السلام قال: ﴿**رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ**﴾[3].

وإن مثلك يا عمر كمثل نوح عليه السلام قال: ﴿**رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا**﴾[4].

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٦.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١١٨.

(٣) سورة يونس، الآية ٨٨.

(٤) سورة نوح، الآية: ٢٦.

هنا أخذ الرسول ﷺ بوجهة نظر أبي بكر، وكان مصير الأسرى على النحو التالي:

أولا: كان فداء المشركين يومئذ أربعة آلاف درهم إلى ألف درهم، وعلى هذا أكثر الأسرى.

ثانيًا: من لم يستطع افتداء نفسه ويحسن القراءة والكتابة، كانت فديته أن يعلم عشرة من أبناء المسلمين.

ثالثًا: مَنَّ الرسول ﷺ على بعض الأسرى من غير فداء، منهم أبو العاص ابن الربيع زوج ابنته السيدة زينب التي بعثت في فدائه بقلادة لها كانت أمها السيدة خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى بها، فلما رآها الرسول ﷺ رقّ لها رقة شديدة وقال للمسلمين: « **إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها فافعلوا** ».. فقالوا: نعم يا رسول الله، فأطلقوه، وردوا عليه الذي لها.

وممن أطلق من غير فداء الشاعر أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي، كلم رسول الله ﷺ قائلاً: إن لي خمس بنات ليس لهن شيء فتصدق بي عليهن، وإني لمعطيك موثقًا لا أقاتلك ولا أكثر عليك أبدًا، فأطلقه الرسول الكريم ﷺ من غير فداء.. إلا أن عمرا نكث وقاتل في أحد فأسر وقتل..

رابعًا: قتل من الأسرى رجلان هما النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط، لأنهما كانا شرًا مستطيرًا على المسلمين أيام مقامهم بمكة، وكانا لا يرقبان في المسلمين إلا ولا ذمة.

ولما تم أمر فداء الأسرى نزل القرآن المجيد بقوله تعالى: ﴿ **مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧) لَوْلا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨) فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[1].

والآيات توجه المسلمين توجيهًا عسكريًا رائدًا، ففي بداية المعارك وقبل تحقيق النصر الكامل لا يكون هدف الجنود إلا استئصال العدو حتى لا تقوم له قائمة ولا

(١) سورة الأنفال، الآيات: ٦٧-٦٩.

يعوقون مسيرة نصرهم بالانشغال بأخذ الأسرى وجمع الغنائم، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ **مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ** ﴾. والإثخان: هو التضييق على العدو بقتل رءوس الفتنة وأئمة الكفر.

ثم تبين الآيات أنه لولا حكم سابق من الله بألا يعاقب مجتهدًا على اجتهاده لعاجلهم بعذاب عظيم.. ثم أباح الله لهم تقسيم الغنائم والانتفاع بالفدية المبني أخذها على النظر الصحيح.

فالآيات ليست عتابًا للرسول ﷺ بقدر ما هي توجيه للمسلمين وعتاب لهم على أخذهم الأسرى، وليس على أخذهم الفداء، فإن الفداء حكم ثابت في كتاب الله ومسجل في مثل قوله تعالى: ﴿ **فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً** ﴾ ولكنه مسبوق بالتوجيه الإلهي الحكيم: ﴿ **فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ** ﴾[1].

* * *

(١) سورة محمد، الآية: ٤.

الشورى يوم أحد

اجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ بعد هزيمتها الساحقة في بدر الكبرى، وخرجت بجدها وحدها وحديدها وأحابيشها[١] ومن تابعها من بني كنانة وأهل تهامة فأقبلوا حتى نزلوا قرب المدينة.

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ جمع المسلمين وشاورهم في الخروج أو البقاء بالمدينة.

فكان رأي عبد الله بي أُبيّ بن سلول مع رأي رسول الله ﷺ ألاّ يخرج المسلمون إليهم ويظلوا مدافعين عن المدينة متحصنين بها..

فقال رجل من المسلمين ممن فاته المشاركة في بدر: يا رسول الله، اخرج بنا إلى أعدائنا، لا يرون أنا جبنًا عنهم وضعفنا.

فاعترض عبد الله بن أُبيّ وقال: يا رسول الله أقم بالمدينة، لا تخرج إليهم، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه، فدعهم يا رسول الله، فإن أقاموا أقاموا بشر محبس، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا..

فلم يزل الناس الراغبون في لقاء القوم برسول الله ﷺ حتى دخل بيته فلبس لأمته[٢] ثم خرج عليهم، وقد ندم الناس وقالوا: استكرهنا رسول الله ﷺ ولم يكن لنا ذلك، وأفضوا إليه ﷺ، فقال: **«ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل»**، ثم خرج في ألف من الصحابة حتى نزل الشعب من جبل أحد فجعل ظهره وعسكره إلى أحد، وقال: **«لا يقاتلن أحد منكم حتى نأمره بالقتال»**.. ثم جعل على الجبل خمسين من الرماة على رأسهم عبد الله بن جبير وقال له: انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا، إن كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك لا نؤتين من قبلك.

ودارت معركة حامية أنزل الله فيها نصره على المسلمين وصدقهم وعده، وكانت الهزيمة لا شك فيها للمشركين، فترك الرماة مواقعهم ليشاركوا في الغنائم، فانتهز الفرصة خالد بن الوليد ـ وكان ما زال مشركًا ـ فعلا الجبل بخيله وأتى المسلمين من خلفهم، وكان يوم أُحد يوم بلاء ومصيبة وتمحيص.

(١) الجد: الغنى. الحد: البأس. الأحابيش: من انضم إليها من غير العرب.

(٢) اللأمة: هي لباس الحرب.

وفي هذا يقول الله تبارك وتعالى: **﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾**[١].

والذي نود أن نعيه في موضوعنا هذا أن الرسول ﷺ تشاور مع أصحابه ثم نزل على رأي الغالبية المقاتلة، فخرج إلى لقاء العدو خارج المدينة، وإلى هنا ينتهي الأمر ويصبح الخروج فريضة محكمة على كل مسلم، ولكن الذي وقع يوم أُحد هو أن عبد الله بن أُبيّ بن سلول رفض الالتزام بهذا الرأي الأخير وخدع المسلمين بخروجه معهم، ثم انخزل بثلث الناس وقال: أطاعهم وعصاني، ما ندري علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس؟!! فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب.

وهكذا ارتكب ابن أُبيّ أكثر من جريمة في هذا الموقف العصيب، فلم يلتزم بما انتهت إليه المشورة وارتآه رسول الله ﷺ، كما فعل فعلة شنعاء حين خرج ثم رجع من منتصف الطريق، فأوهن العزائم وشتت الفكر وفرق الصفوف، فضلا عما أشاعوه من شعارات التثبيط والوهن، وما ظنوه من ظن الجاهلية حين قالوا: هل لنا من الأمر من شيء.

وحين قالوا: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا.

وحين قالوا: لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا.

وقد كشف القرآن خفايا صدور المنافقين وأظهر بواطنهم على حقيقتها وجعلها ذكرى في الأولين والآخرين..

وصدق الله حيث يقول: **﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٦٥) وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (١٦٦) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (١٦٧) الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾**[٢].

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٢. (٢) سورة آل عمران، الآيات: ١٦٥-١٦٨.

الشورى يوم الخندق

تجمع حزب الشيطان من قبائل قريش ويهود بني النضير وبني قينقاع، الذي بلغ عشرة آلاف مقاتل، وزحفوا قاصدين المدينة لاستئصال شأفة المسلمين، فاستشار الرسول ﷺ أصحابه في أسلوب المواجهة، فأشار سلمان الفارسي بحفر الخندق حول المدينة ليعوق مسيرة المشركين نحوها، فأعجب المسلمون بالفكرة ودأبوا في تنفيذها، واستطاعوا في ستة أيام إتمام هذا العمل الشاق، فلما وصل المشركون بجموعهم الحاشدة راعهم هذا الخندق العجيب ووقفوا أمامه حيارى، فهو لون من الدفاع لم يكن معهودًا للعرب، وأيقنت قيادة المشركين أنه لا سبيل إلى اجتياز الخندق، فعسكروا حيث هم، واكتفوا بالتراشق بالنبال عدة أيام متوالية.

وهكذا نجحت فكرة سلمان في إعاقة العدو، وحيث إنه فارسي بدأ المسلمون يتجاذبونه شرفًا به وتكريمًا له، فقال المهاجرون: سلمان منا، وقالت الأنصار: سلمان منا، فقال عليه الصلاة والسلام: سلمان منا أهل البيت.

وفي هذا الوقت العصيب تراجع المنافقون من جيش الإسلام قائلين: إن بيوتنا عورة، وأصبحوا يشكلون خطرًا داخل المدينة، وفي هذه المحنة التي أحاطت بالمسلمين بتجميع الأحزاب وانسحاب المنافقين انتهز يهود بني قريظة ــ وكانوا يساكنون المسلمين في المدينة ــ انتهزوا هذه الفرصة واستجابوا لتحريض إخوانهم بني النضير، فنقضوا عهد الدفاع المشترك المعقود مع المسلمين، وأصبحوا العدو الثالث مع الأحزاب والمنافقين.

وبلغت أحوال المسلمين حدًا وصفه القرآن الكريم بقوله: ﴿**إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا**﴾[1]

فلما اشتد على المسلمين البلاء اجتهد الرسول ﷺ في عمل شيء يمكن أن يفرق هذه الجموع الحاشدة، فبعث إلى عيينة بن حصن والحارث بن عوف، وهما قائدان لقبيلة غطفان ذات الشوكة، ودارت معهما مشاورات لعقد صلح ترجع بمقتضاه

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ١٠-١١.

قبيلة غطفان عن مساندة قريش، على أن يكون لها ثلث ثمار المدينة، وتم كتابة الصلح بحروفه الأولى فقط، ولما أراد الرسول ﷺ أن يفعل ويصل إلى المرحلة التنفيذية بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة، وهما من قادة الأنصار، فذكر ذلك لهما واستشارهما فيه، فقالا له: يا رسول الله، أمرًا تحبه فنصنعه، أم شيئًا أمرك الله به لابد لنا من العمل به، أم شيئًا تصنعه لنا؟

قال عليه الصلاة والسلام: «**بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما**».

فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله، قد كنا وهؤلاء القوم على الشرك وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قرى[1] أو بيعًا، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه، نعطيهم أموالنا، والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم.

فتنازل الرسول ﷺ عن رأيه وتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من خواطر الصلح المكتوبة.

هكذا تشاور الرسول ﷺ مع أصحابه، وهكذا تراجع عن رأيه ما دام الأمر لا يتعلق به وحي ولا نزل به نص.

فما أجدر كل قائد وزعيم أن يتأسى برسول الله ﷺ ويدع الاستبداد بالرأي، ويعرف أن خلاف الرأي لا يفسد للود قضية وأن المدار على إخلاص النية وحسن الطوية والإيمان بالأهداف العليا والغايات الكبرى، وأن الوسائل قد تتعدد، والبدائل قد تكون كثيرة، والمهم هو أن نحسن الاختيار، ونحكم المشورة، وألاَّ ندخر وسعًا في تقصي الحقائق واجتهاد الفكر، وما خاب من استشار، ولا ندم من استخار.

صلى الله وسلم وبارك على هذا النبي العظيم.

* * *

(١) القرى ــ بالكسر ــ ما يقدم للضيف.

القضية السادسة :

الرسول ﷺ والعدل الاجتماعي

❁ **حرص الرسول ﷺ على أمته.**
❁ **كفالة الرسول ﷺ لأمته.**
❁ **رفق الرسول ﷺ بأمته.**
❁ **قرب الرسول ﷺ من أصحابه.**
❁ **رعاية الرسول ﷺ لضعفاء الأمة:**

- **عيادة المرضى.**
- **تكريم الكادحين.**
- **مع الصحابي الأعمى.**
- **مع الخادم.**

❁ **يقظة الرسول ﷺ على الأمن العام.**
❁ **الرسول ﷺ والإنفاق العام.**
❁ **أمانة المسئولية.**
❁ **فلسفة الإمارة.**
❁ **فلسفة القضاء.**
❁ **قانون من أين لك هذا؟**
❁ **المؤاخاة.**
❁ **المداينة.**

حرص الرسول ﷺ على أمته

حدثنا القرآن المجيد عن شفقة الرسول ﷺ بأمته وحرصه عليهم وسعيه في هدايتهم، وتحمله المشاق في سبيل إصلاح شئونهم. قال تعالى: ﴿ **فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (٦) إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا** ﴾(١).

ومعنى «باخع نفسك» أي مهلكها أسفًا، والمراد لا تأسف عليهم ولا تصل إلى مرحلة القلق النفسي المضني لإعراضهم عن دعوة الحق والخير، وما عليك إلا أن تبلغهم وتوضح لهم معالم الطريق، ودعهم وشأنهم، فإن الحياة قائمة على الابتلاء والامتحان، ولا يخدع بزخرفها وزينتها إلا الأغرار السفاء، فمصير الحياة إلى زوال وفناء، إما بموت الإنسان نفسه، وإما بجائحة يسلطها الله على متع الحياة، وإما بانتهاء الدنيا وقيام الساعة..

وفي تشبيه بليغ لحرص الرسول ﷺ وشفقته على أمته يقول عليه الصلاة والسلام ـ كما في صحيح مسلم: «**إن مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعينيّ، وإني أنا النذير العريان، فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مُهلتهم، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق**».

ومعنى قوله: (أنا النذير العريان) أن الرجل إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يتوقع شره ويخشى بأسه وتساء عاقبته ـ نزع ثوبه وأشار به إليهم إذا كان بعيدًا منهم ليأخذوا حذرهم، ويفعل ذلك من يكون في طليعة الجيش وذهب يتحسس الأخبار ويتعرف على قوة العدو، ويكون منظره هذا أبلغ في استحثاث قومه على التأهب والاستعداد، وقيل إن مورد المثل في رجل أدركه العدو فأخذ ثيابه، فرجع إلى قومه عريانًا، فعرفوا من هذا المنظر شدة عدوّهم وقوة بأسه.

---

(١) سورة الكهف، الآيات: ٦-٨.

وأيًا ما كان فإن رسول الله ﷺ قد بلغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصح الأمة، وتركها على المحجة البيضاء.

وقد كان هذا الحرص من الرسول ﷺ على أمته عظيمًا وكبيرًا وممتدًا إلى ساحة العرض الأكبر، يوم يقوم الناس لرب العالمين، فقال عليه الصلاة والسلام: «**لكل نبي دعوة مستجابة، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا**».

* * *

كفالة الرسول ﷺ لأمته

كان سيدنا محمد ﷺ : النبي المبلِّغ عن الله، والحاكم على المسلمين فيما شجر بينهم، والراعي الصالح لشئونهم، يتفقد غائبهم ويعود مريضهم، ويتحمل ديونهم، ففي صحيح الحديث قال عليه الصلاة والسلام: «**ما من مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة، اقرأوا إن شئتم: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾**[1]. فأيما مؤمن مات وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ومن ترك دينًا أو ضياعا فليأتني فأنا مولاه».

والملاحظة الجديرة بالاعتبار هنا أن الرسول ﷺ لم يذكر ما يستحقه على المؤمنين بسبب هذ الأولوية، وإنما ذكر ما يتحمله هو نحو المؤمنين، وهذا في غاية السمو ونهاية الرفعة.

ففي صدر الإسلام لم يكن النبي ﷺ يصلي على من مات وعليه دين، ويدع أصحابه يصلون، وفي امتناع الرسول الكريم ﷺ عن صلاة الجنازة على المدين تحريض للناس على رد الحقوق لأصحابها، وتنبيه لهم على أن الدين هَمٌّ بالليل ومذلة بالنهار، ودفع لهم لأن يعملوا ويكتسبوا ويدخروا.

ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**روح المؤمن مرهونة بدينه حتى يقضى عنه**» أي محبوسة عن النعيم الذي تستحقه حتى تسدد الديون التي على صاحبها.

ولما جاءت الغنائم وتوالت انتصارات المسلمين أصبح رسول الله ﷺ يقضي ديون من مات من المسلمين، فإذا وضعت الجنازة سأل إن كان للميت مال وزعه على ورثته حسب الأنصبة الشرعية، وإن لم يكن له مال تكفل ﷺ بذريته وجعل لهم نصيبًا من بيت مال المسلمين، بل إن كان على الميت دين قضاه عنه.

وبهذا أرسى رسول الله ﷺ أصلا عظيمًا في بناء المجتمع وكفالة الدولة لأبنائها ورعايتها لمواطنيها، فإن الشأن في الولاة أن يراقبوا الله تعالى فيما ولاهم، وأن يحسنوا التصرف في أموال الدولة بما ينفع الناس ويحقق استقرار أحوالهم المالية.

وتقول السيدة عائشة رضي الله عنها، كما في صحيح الحديث: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا: «**اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به**».

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦.

رفق الرسول ﷺ بأمته

كان رسول الله ﷺ حليمًا رفيقًا، يكظم غيظه، ويعالج الموقف بحكمة، ويصفح حيث يجوز الصفح، ويحسن إلى من أساء إليه، وكان لا يواجه أحدًا بشيء يكرهه، وإذا بلغه عن رجل شيء لم يقل: ما بال فلان يقول؟ ولكن يقول: ما بال أقوام يقولون كذا وكذا.

وأخرج البخاري عن عبدالله رضي الله عنه قال: لما كان يوم حنين آثر النبي ﷺ ناسًا، أعطى الأقرع بن حابس رضي الله عنه مائة من الإبل، وأعطى عيينة رضي الله عنه مثل ذلك، وأعطى ناسًا، فقال رجل: ما أُريد بهذه القسمة وجه الله، فقلت: لأخبرنّ النبي ﷺ، فأخبرته، فقال: **«رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر»**. وفي رواية: **«ومن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله»**.

لقد كان الرسول ﷺ يتألف الناس ويحببهم في دين الله عز وجل، وقد يعطي العطاء لرجل والذي يدعه أحب إليه، يكله إلى إيمانه.. ، وقد يدخل الرجل في الإسلام حبًا للمال والمغنم فيشرح الله صدره فيكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما..

وفي صحيح مسلم عن أنس أن رجلاً سأل النبي ﷺ غنمًا بين جبلين، فأعطاه إياه، فأتى قومه فقال: أي قوم أسلموا، فوالله إن محمدًا ليعطي عطاء ما يخاف الفقر، فقال أنس: إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها..

إن الرفق والحلم والأناة صفات ضرورية لكل من يتولى شأنًا من شئون المجتمع، لأن خدمة الناس والقيام على أمورهم ليست هينة، والعنف فيها يولد الضغينة ويزعزع الاستقرار، ويدفع إلى الفتنة.

ومن مواقف الدعوة إلى الرفق بالأمة ما جاء في صحيح مسلم أن عائذ بن عمرو - وكان من أصحاب رسول الله ﷺ - دخل على عبيدالله بن زياد فقال: أي بني، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن شر الرعاء الحطمة، فإياك أن تكون منهم»**، فقال له ابن زياد: اجلس فإنما أنت من نخالة أصحاب محمد ﷺ، فقال له عائذ: وهل كانت لهم نخالة، إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم.

فهذا الصحابي الجليل واجه واليه بالنصيحة ونهاه عن العنف في رعيته، فالحطمة هو العنيف لا يرفق بغنمه في سوقها ومرعاها، بل يحطمها ويزحم بعضها ببعض بحيث يؤذيها..

واستكبر الوالي واتهم ناصحه بأنه من سقط الصحابة وليس من فضلائهم، فالنخالة هنا استعارة من نخالة الدقيق وهي قشوره، فنبهه الصحابي الناصح بأن الصحابة كلهم عدول، وهم سادات الأمة ولا نخالة فيهم، وإنما بدأ التخليط والتفريط فيمن بعدهم ومن جاءوا خلفهم..

* * *

قرب الرسول ﷺ من أصحابه

الشأن في الراعي أن يظل قريبًا من رعيته، حتى يؤنسهم ويزيل وحشتهم، وييسر لهم سبل الاتصال به، قضاءً لحاجة، أو سماعًا لشكوى، أو مواساة ومشاركة..

ولقد ضرب رسول الله ﷺ المثل الأعلى في قربه من أصحابه سادة وعبيدًا، رجالاً ونساءً، شيوخًا وصبية..

وعلى سبيل المثال: ففي صحيح مسلم عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء، فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها، فربما جاءوه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها.

فهؤلاء الخدم كانوا حريصين على أن ينالوا بركة رسول الله ﷺ في آنيتهم، فما كان يردهم رغم شدة البرد أحيانًا..

ويروي أنس رضي الله عنه موقفًا آخر، وهو أن امرأة كان في عقلها شيء، فقالت: يا رسول الله ﷺ إن لي إليك حاجة، فقال: **«يا أم فلان، انظري أي السكك شئت حتى أقضي لك حاجتك»**، فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها.

أي أن هذه المرأة الضعيفة أرادت أن تشكو إلى رسول الله ﷺ بعيدًا عن سماع الناس، فنحا بها جانبًا في الطريق العام وسمع منها وأفتاها..

وسُئل جابر بن سمرة رضي الله عنه: أكنت تجالس رسول الله ﷺ؟ قال: نعم كثيرًا، كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فِيه الصبح حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت قام، وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمور الجاهلية فيضحكون، ويتبسم رسول الله ﷺ.

أي أن الصحابة كانوا عقب طلوع الشمس يتحدثون في أخبار الجاهلية وأحوال الأمم بأسلوب يثير الضحك ويشاركهم رسول الله ﷺ، لكنه يقتصر على التبسم.

ويحدثنا سمرة بن جندب أن النبي ﷺ كان إذا صلى الصبح أقبل عليهم بوجهه فقال: **«هل رأى أحد منكم البارحة رؤيا»**.

أي أن الناس كانوا يأنسون برسول الله ﷺ ويقصون عليه رؤاهم، يؤولها لهم التأويل الحسن، وكان الرسول ﷺ يستفسر منهم عقب صلاة الصبح، ويبادر إلى تهدئة قلوبهم..

ولم يكن على باب رسول الله ﷺ حجاب ولا حراس، فيأتي الناس يستأذنون ويدخلون، لا يمنعهم أحد، بل وصل الأمر إلى حد الإثقال، وجلس الناس في حجرة رسول الله ﷺ يوم عرسه بالسيدة زينب بنت جحش وطال الوقت، واستحيى الرسول ﷺ أن يطلب منهم الخروج، وجاء الوحي بأدب دخول بيوت النبي: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾**[1].

* * *

(١) الأحزاب، الآية: ٥٣.

رعاية الرسول ﷺ لضعفاء الأمة

١ - عيادة المريض:

من شأن الناس أن يتفاوتوا صحة ومرضًا، قوة وضعفًا، غنىً وفقرًا..

والراعي الحريص على رعيته يولي اهتمامًا خاصًا بضعفاء الأمة، ويقدّم لهم خدمة متميزة، ويحاول أن يسري عنهم، ويدخل المسرة عليهم..

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة فقد اهتم بضعفاء الأمة اهتمامًا خاصًا، فكان يحرص على عيادة المرضى والدعاء لهم، ففي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمر أنه قال: «كنا جلوسًا مع رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من الأنصار فسلم عليه، ثم أدبر الأنصاري، فقال رسول الله ﷺ: **يا أخا الأنصار، كيف أخي سعد بن عبادة؟** فقال: صالح، فقال عليه الصلاة والسلام: **من يعوده منكم؟** فقام وقمنا معه ونحن بضعة عشر، ما علينا نعال ولا خفاف ولا قلانس ولا قمص، نمشي في تلك السباخ حتى جئناه، فاستأخر قومه من حوله حتى دنا رسول الله ﷺ وأصحابه الذين معه».

فهنا نجد أن الرسول الكريم ﷺ دعا جلساءه إلى القيام معه لعيادة أحد الصحابة، فقاموا بلا تردد، وكانوا على زهد في الدنيا، وبعد عن فضولها ومتاعها..

وتحدثنا السيدة عائشة رضي الله عنها كيف كان رسول الله ﷺ يعود المريض، فتقول - كما في صحيح مسلم -: كان رسول الله ﷺ إذا أتى المريض يدعو له، قال: **«أذهب البأس رب الناس، واشف أنتِ الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا»**.

وفي رواية: كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى منا إنسان مسحه بيمينه ثم قال: **«أذهب البأس رب الناس»**.. إلخ.

ثم تقول عائشة: فلما مرض رسول الله ﷺ وثقل أخذت بيده لأصنع به نحو ما كان يصنع، فانتزع يده من يدي، ثم قال: **«اللهم اغفر لي واجعلني مع الرفيق الأعلى»**. قالت: فذهبت أنظر، فإذا هو قد قبض.

أي أنها أرادت أن ترقي رسول الله ﷺ بما كان يرقي هو به الناس، لقد كان الرسول ﷺ يضع يده على المريض أثناء الرقية، فهل تضع هي يدها؟ لقد أحست أن يده الشريفة لها دخل في الرقية، تقول عائشة: فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه

وأمسح عنه بيده رجاء بركتها. وفي رواية: وأمسحه بيد نفسه لأنها كانت أعظم بركة من يدي.

إن عيادة المريض أدب إسلامي، وإن قيام ولي الأمر بعيادة المرضى من رعيته أكثر أدبًا وأعظم أجرًا..

٢ - تكريم الكادحين:

في المجتمع أفراد كادحة يمثلون الطبقات الدنيا، وشأن الراعي أن يتفقد رعيته كلها بلا استثناء، ويتودد إليهم جميعًا، فإن بني الإنسان كلهم من آدم وآدم من تراب..

وعندما أبى المشركون أن يجتمعوا في مجلس رسول الله ﷺ مع الفقراء والعبيد نزل القرآن يحسم الموقف: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾ (١).

إن القرآن أمر الرسول ﷺ أن يوجه السلام والتحية للقادمين عليه من ضعفاء الأمة، مع أن الشأن في القادم أن يلقي هو السلام، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾ (٢).

وذات يوم كان الرسول ﷺ جالسًا مع أصحابه، فمر رجل على النبي الكريم ﷺ، فقال لأحد جلسائه: «**ما رأيك في هذا؟** فقال: رجل من أشراف الناس، هذا والله حريّ إن خطب أن يُنكح وإن شفع أن يُشفع، فسكت رسول الله ﷺ، ثم مرّ رجل آخر، فقال له النبي ﷺ: **ما رأيك في هذا؟** فقال: يا رسول الله، هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حريّ إن خطب ألا يُنكح، وإن شفع ألا يُشفع، وإن قال ألا يُسمع لقوله، فقال عليه الصلاة والسلام: **هذا خير من ملء الأرض مثل هذا**».

أي أن هذا الرجل الفقير - مع إيمانه وتقواه - خير من ملء الأرض مثل الرجل الكافر المتكبر..

وعندما آمن سلمان الفارسي، وكان عبدًا رقيقًا عند يهودي بالمدينة أشار عليه النبي الكريم ﷺ أن يكاتب سيده، فكاتبه على ثلاثمائة نخلة يغرسها له وأربعين

(١) الكهف، الآية ٢٨.
(٢) الأنعام، الآية ٥٤.

أوقية من ذهب، وشارك المسلمون في أداء هذا الدين عن سلمان، فأحضروا له النخل وحفروا معه أماكنها، وقدم الرسول ﷺ ووضعه بيده الشريفة، وعتق سلمان، وكانت أول مشاهده غزوة الأحزاب، وأشار على المسلمين بحفر الخندق حول المدينة، وحين قسم الرسول ﷺ حفر الخندق بين الصحابة قال الأنصار: سلمان منا، وقال المهاجرون: سلمان منا، وهنا قال عليه الصلاة والسلام: سلمان منا آل البيت، وآخى الرسول ﷺ بينه وبين أبي الدرداء، ولما سُئل سلمان يومًا عن نسبه قال: أنا سلمان ابن الإسلام، ولذا وصف بأنه سلمان الخير..

٣ - مع الصحابي الأعمى:

جاء في أسباب النزول أن جماعة من أشراف قريش وصناديدهم جاءوا إلى رسول الله ﷺ، فجعل يعرض عليهم الإيمان ويرغبهم فيه، وكان رسول الله ﷺ يحرص على إيمانهم ويطمع فيه، لأنه بإيمانهم يؤمن خلق كثير..

فبينما رسول الله ﷺ مشغول بهؤلاء إذا بعبدالله بن أُم مكتوم يصل، وهو رجل أعمى، وهو ممن أسلم قديمًا، فجعل يستقرئ النبي ﷺ قائلاً: أقرئني كذا وكذا، أرشدني يا رسول الله..

وكان رسول الله ﷺ يتمنى أن يتريث عبدالله بعض الوقت ليتمكن الرسول ﷺ من القيام بمهمته، فأعرض عنه وكره كلامه وأقبل على الآخرين.. فأنزل الله تعالى: **﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ (١) أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ (٤) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ (٥) فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ (٧) وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ (٨) وَهُوَ يَخْشَىٰ (٩) فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ (١٠) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾** (1).

فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك يكرمه ويقضي حاجته ويفرش له رداءه ويقول له: **«مرحبًا بمن عاتبني فيه ربي»**.

وقد اختلف أهل العلم في اسم هذا الصحابي الأعمى، فقيل عبدالله وقيل عمرو، وأبوه قيس بن زائدة بن الأصم القرشي، وأُمه عاتكة بنت عبدالله المخزومي، وهو ابن خال السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

وكان يؤذن الأذان الثاني في الفجر، وفيه جاء قول النبي ﷺ: **«إن بلالاً يؤذن**

(١) عبس، الآيات من ١ إلى ١٠.

بليل فكلوا واشربوا حتى ينادي ابن أُم مكتوم».

وقد استخلفه النبي ﷺ على المدينة ثلاث عشرة مرة، بمعنى أنه كان حاكمًا على المدينة في غيبة رسول الله ﷺ عندما كان يخرج للغزو والجهاد.

ولما نزل قوله تعالى: **﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾** نزلت الآية ابتداء هكذا: **﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾**. فجاء ابن أُم مكتوم فشكا ضرارته وقال: يا رسول الله، أنا ضرير، لو استطعت الجهاد لجاهدت. فما قضى كلامه حتى غشى النبي ﷺ ما يغشاه عند نزول الوحي، ثم سري عنه، فأنزل الله: **﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾**. وأصبحت الآية هكذا: **﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾** (1).

وبهذا استثنى الله تعالى أصحاب الأعذار، وكان ذلك موافقة كريمة من ابن أُم مكتوم للوحي الإلهي المنزل.

٤ - مع الخادم:

قد يحتاج بعض الناس أو الأسر إلى خادم يتولى شئون المأكل والمشرب والملبس، والخدمة لون من العمل الشريف الذي يجب أن يحاط برعاية تضمن الحقوق وتصون الحرمات وتحفظ كرامة الإنسان.

وكان أنس بن مالك يخدم رسول الله ﷺ، وظل معه فترة زمنية هي العهد المدني كله، يقول أنس: خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي أُفٍّ قط، ولا قال لشيء صنعته لِمَ صنعته، ولا لشيء تركته لم تركته، وكان لا يظلم أحدًا أجره.

وقد لازمت الرسول ﷺ في طفولته جارية هي أُم أيمن، وقد أعتقها الرسول ﷺ وزوجها زيد بن حارثة، وكان يقول عنها: **«أُم أيمن أُمي بعد أُمي»**، وكان يزورها في بيتها..

وقد قبل الرسول ﷺ الهدية من خادمه، ويحكي لنا أنس رضي الله عنه أنه حين تزوج

(١) النساء، الآيتان ٩٥، ٩٦.

الرسول ﷺ (زينب بنت جحش) صنعت أم سليم - وهي أُم أنس - لونًا من الطعام يسمى الحيس، فجعلته في إناء وبعثت به إلى الرسول ﷺ هدية، فحمله أنس وقال: يا رسول الله، إن أمي تقرئك السلام وتقول: إن هذا لك منا قليل، فقبله الرسول الكريم ﷺ كعادته في قبول الهدية، فهو ﷺ القائل: «**لو دعيت إلى كراع**[1] **لأجبت، ولو أُهدي إلى ذراع لقبلت**».

وكان رسول الله ﷺ يعود مرضاه من الخدم، ويحكي البخاري في صحيحه أنه كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ ، فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه فقال له: «**أسلم**» فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له أبوه: أطع أبا القاسم، فأسلم الغلام وقال: أشهد ألاَّ إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فخرج عليه الصلاة والسلام وهو يقول: «**الحمد لله الذي أنقذه من النار**».

وكان ﷺ وفيًّا حتى للخدم، يشاركهم أفراحهم وأتراحهم، ففي صحيح الحديث: أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد (أي تزيل القمامة منه)، ففقدها رسول الله ﷺ ، فسأل عنها، فقالوا: ماتت، قال: «**أفلا كنتم آذنتموني**» (أي أعلمتموني بموتها)، فكأنهم صغروا أمرها، فقال عليه الصلاة والسلام: «**دلوني على قبرها**»، فدلوه، فصلى عليها، ثم قال: «**إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أصحابها، وإن الله عز وجل ينورها لهم بصلاتي عليهم**».

وفي هذا الموقف النبيل السامي بيان ما كان عليه الرسول الكريم ﷺ من التواضع والرفق بأمته وتفقد أحوالهم والقيام بحقوقهم والاهتمام بمصالحهم في الدنيا والآخرة.

* * *

(١) الكراع بالضم ساق الأنعام الدقيقة والمراد قطعة عظام لا تحمل لحمًا.

يقظة الرسول ﷺ على الأمن العام

من منطلق أن الرسول ﷺ هو الإمام والحاكم للمسلمين - كان يقظًا في حراسة أمته ومجتمعه، يعمل بدأب على استتباب الأمن وسلامة الرعية.. وما كانت غزوات رسول الله ﷺ إلا لونًا من ألوان الدفاع عن الدين والمجتمع، وحماية للناس وأمنًا، وتثبيتًا للاستقرار والسلام.

وفي أوقات السلم وأثناء الليل كان ﷺ يتفقد رعيته، ويحدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه عن موقف فذ من مواقف الحياة النبوية الشريفة، فيقول -كما في صحيح مسلم-: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وكان أجود الناس وكان أشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعًا وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبي طلحة عُري، في عنقه السيف، وهو يقول: «**لم تراعوا.. لم تراعوا**»، قال: وجدناه بحرًا، أو إنه لبحر، وكان فرسًا يُبطًأ.

في هذا الحديث الشريف نجد أن الرسول ﷺ خرج قبل الناس كلهم، ويستطلع الخبر ويتعرف على مصدر الصوت المزعج، وحين تجمع الناس وأرادوا الذهاب لكشف حال الموقف، تلقاهم الرسول ﷺ راجعًا، مؤكدًا لهم استتباب الأمن، مبشرًا لهم بالهدوء والسلام.

وكان المصطفى ﷺ في خروجه هذا قد استعار فرسًا لأبي طلحة بطيء الحركة، فما أن ركبه الرسول ﷺ حتى تحول إلى فرس سريع العدو، واسع الخطى، قوي الحركة، كأنه موج البحر العاتي.

وهنا درس لولاة الأمور أن يكونوا في طليعة الأمة دفاعًا عن كرامتها، وحرصًا على سلامة أبنائها، وذودًا عن مقدساتها، ولا بقاء لهم إلا بقدر ما يبذلون من جهد وتضحيات.. وليست الولاية مغنمًا وإنما هي تكليف وتبعات يتحملها أكفأ الرجال وأقدرهم.

وفي صحيح مسلم: أن عبيدالله بن زياد - أحد الولاة العتاة - دخل على معقل ابن يسار في مرضه، فقال له معقل: إني محدثك بحديث لولا أني في الموت لم أحدثك به، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يَجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة**».

الرسول ﷺ والإنفاق العام

المجتمع في حاجة ماسة إلى التكافل والتراحم، وأن يأخذ القوي بيد الضعيف، وأن يعطي الناس من فضول أموالهم لذوى الحاجات..

وكان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود بالخير من الريح المرسلة، وما سُئل شيئًا قط فقال لا، وكان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر..

فقد أخرج مسلم بسنده عن جرير رضي الله عنه قال: كنا في صدر النهار عند رسول الله ﷺ، فجاءه قوم عراة حفاة مجتابي النمار أو العباء (أي لابسيها)، متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر، فتمعَّر وجه رسول الله ﷺ (أي تغير) لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلالاً رضي الله عنه فأذن وأقام، فصلى ثم خطب فقال: «﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً** ﴾[1] والآية التي في الحشر: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ** ﴾، **تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره**»، حتى قال: «**ولو بشق تمرة**» فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مُذهبة، فقال رسول الله ﷺ: «**من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**».

وهكذا يحرص الراعي على رعيته، ويتعامل ولي أمر المسلمين مع أمته، يتقدمهم ويحثهم، يشعر بشعورهم ويسعى في حاجتهم، وما أروع استجابة المسلمين لنداء رسولهم وإمامهم ﷺ، فهم به يقتدون وعلى دربه ومنهاجه يسيرون بحب وإخلاص وولاء.

بل إن رسول الله ﷺ بلغ في الإنفاق العام حدًا هو السمو كله والسخاء

(١) سورة النساء ، الآية : ١ .

بأجمعه، فقد كان يقترض ليسد حاجات المعوزين، ويتحمل الديون في سبيل كفكفة دموع البائسين.. فقد أخرج الترمذي عن عمر رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه، فقال: «**ما عندي ما أُعطيك، ولكن ابتعْ على شيئًا**» (أي اشترِ علي حسابي)، «**فإذا جاءني شيء قضيته**».

ومن هنا شرع في الإسلام سهم الغارمين عند توزيع الزكاة، وهم من لزمتهم الديون لأنفسهم فعجزوا عن أدائها، أو تداينوا لإصلاح ذات البين، كأن خاف فتنة بين قبيلتين تنازعتا في قتيل لم يظهر قاتله، فتحمل الدية تسكينًا للفتنة، فيعطى من الزكاة ولو كان غنيًا، ترغيبًا في هذه المكرمة..

* * *

أمانة المسئولية

أخرج البخاري في صحيحه عن عروة «أن امرأة سرقت على عهد رسول الله ﷺ في غزوة الفتح، ففزع قومها إلى أُسامة بن زيد رضي الله عنهما يستشفعونه، قال عروة: فلما كلمه أُسامة تلوَّن وجه رسول الله ﷺ وقال: **أتكلمني في حد من حدود الله تعالى؟!!**

قال أُسامة: أستغفر الله يا رسول الله.

فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ خطيبًا وأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: **أما بعد، فإنما هلك الناس (قبلكم) أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**. ثم أمر رسول الله ﷺ بتلك المرأة فقطعت يدها. فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوَّجت.. قالت عائشة: كانت تأتي بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ»..

وهنا درس بليغ.. فالحدود الشرعية إنما هي طهارة للفرد وحماية للمجتمع، وأمن للمواطن واستقرار.. وشرع الله إنما هو عام على المكلفين بلا استثناء.. والتحايل والمحسوبية في الدين إنما هو خروج على قواعد الدين وأصوله.. وشأن القائم بالأمر أن يبدأ بنفسه وأهله، فتتحقق القدوة الحسنة، وتستريح النفوس إلى عدالة الحاكم والحاكمين.

وما أروع مقالة رسول الله ﷺ: «**لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**».

إن المناصب ليست لجمع الثروة أو للشهرة أو لاكتساب الجاه، إنها أمانة ومسئولية، وكل إنسان مسئول عما استرعاه الله، أحسن أم ضيَّع.. وفي صحيح مسلم أن أبا ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي ثم قال: «**يا أبا ذر إنك لرجل ضعيف، وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها**».

ومن شدة ورع رسول الله ﷺ واستمساكه بالمبدأ ما جاء في الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال: «**إني لأنقلب إلى أهلي فأجد التمرة ساقطة على فراشي ثم أرفعها لآكلها ثم أخشى أن تكون صدقة فألقيها**».

فمن المعلوم أن الزكاة تؤخذ من أغنياء المسلمين وترد على فقرائهم ولها مصارف شرعية حددتها الآية الكريمة: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ**

قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(1).

وقد برأ الله رسوله ﷺ وأهل بيته وذوي قرباه أن ينالهم أي شيء من هذه الزكاة حتى تظل ساحتهم بعيدة عن القيل والقال، وحتى لا يكون هناك موضع لشبهة، وهذا رسول الله ﷺ يجد التمرة، وهي شيء تافه ويسير، ويجدها على فراشه، وله رغبة في تناولها أو حاجة إليها، ولكنه عليه الصلاة والسلام ما يكاد يرفعها إلى فمه حتى يخشى أن تكون من زكاة المسلمين، فيلقيها فورًا ولا يتناولها.

بل هناك ما هو أبعد من ذلك، ففي الصحيح أيضًا أن الحسن بن علي أخذ تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال عليه الصلاة والسلام: «**كخ، كخ، ارم بها، أما علمت أنَّا لا نأكل الصدقة**».

فهذا طفل صغير، وهو ابن بنت رسول الله ﷺ فاطمة الزهراء، وهو عزيز لدى جده ومدلل عنده، ولكن في غير معصية.. ولكن يجب أن نراعي حدود الله، ولكن يجب أن يبصر الإنسان، ولو كان طفلا بمحارم الله حتى يتجنبها.

فعندما يتناول الحسن تمرة لا تحل له يخرجها الرسول ﷺ من فمه وينهاه عن أكلها، معللا له بأنها من حق المسلمين وليست من حقه.

وكلمة (كخ) كلمة زجر بكسر الكاف والخاء مع التنوين، وقد تنطق بالكسر والتسكين أو بالفتح والتسكين.

ومن أمانة المسئولية هذه والحرص على جماعة المسلمين نرى النبي ﷺ يأتي بيت ابنته فاطمة للزيارة، فيعود دون أن يدخل مرتين، فتسأل فاطمة عن السبب، فمرة يقول عن سبب عدوله عن الزيارة: «**إني رأيت على بابها سترًا موشيًا، ثم يأمرها فيقول: ترسلي به إلى فلان، أهل بيت بهم حاجة!!**».

ومرة يقول عن سبب عدوله: «**إني وجدت في يديها سوارين من فضة، فباعهما النبي ﷺ بدرهمين ونصف وتصدق بهما على الفقراء**».

وذلك لأن حق الجماعة مقدم على حق النفس، وأن الخير العام يسبق الخير الخاص، وأن ضرورات المجتمع أولى من كماليات الفرد.

---

(1) سورة التوبة، الآية: ٦٠.

فلسفة الإمارة

عندما استقر الأمر للمسلمين ودخل الناس في دين الله أفوجًا بعث رسول الله ﷺ مندوبين عنه يعلمون الناس دينهم، وعين أُمراء عليهم يسوسونهم، ومن هؤلاء:

باذان بن ساسان: وهو أول أمير على اليمن، وهو أول من أسلم من ملوك العجم، وقد تولى إمارة اليمن كلها بعد موت كسرى.

وزياد بن أمية الأنصاري: وتولى حضرموت.

وأبو سفيان صخر بن حرب: وتولى نجران.

وعمرو بن العاص: وتولى عمان.

وكانت الفلسفة العامة لتعيين هؤلاء الولاة هي القدوة الحسنة والقدرة على التحمل، والبصر بأمور الناس، وحسن الاجتهاد..

ويحكى أبو موسى الأشعري فيقول ـ كما في صحيح مسلم ـ : دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من بني عمي، فقال أحد الرجلين: يا رسول الله، أمِّرنا على بعض ما ولاك الله عز وجل.

وقال الآخر مثل ذلك.

فقال عليه الصلاة والسلام: **«إنا والله لا نولي على هذا العمل أحدًا سأله ولا أحدًا حرص عليه»**.

وذلك لأن الحرص على الإمارة والإلحاح في السؤال عنها ينم على أن هذا الشخص يريدها مغنمًا وجاهًا ولا يريدها أمانة ومسئولية.

وعندما قال أبو ذر رضي الله عنه: يا رسول الله ألا تستعملني ضرب رسول الله ﷺ بيده على منكبي أبي ذر ثم قال له: **«يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها»**.

ومهمة الولاة عامة هي التيسير على الناس والقيام بالعدل بينهم، فتلك هي رسالة الأنبياء، قال تعالى: **﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ**

بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1].

وتحكي كتب الصحاح أن عبد الرحمن بن شماسة قال: أتيت عائشة أسألها عن شيء، فقالت: ممن أنت؟ فقلت: رجل من أهل مصر، فقالت: كيف كان صاحبكم لكم في غزاتكم هذه؟! فقال: ما نقمنا منه شيئًا، إن كان ليموت للرجل منا البعير فيعطيه البعير، أو العبد فيعطيه العبد، ويحتاج إلى النفقة فيعطيه النفقة.. فقالت عائشة رضي الله عنها: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به».

وفي تهديد شديد يتوعد رسول الله ﷺ هؤلاء الأمراء الذي يظلمون الناس ويعيثون في الأرض فسادًا فيقول: **«ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة»**.

هذا ومن حق الوالي أن يطاع في غير معصية، وأن يحظى بتقدير الناس له، حتى تظل الكلمة واحدة والصف مترابطًا والجهود موحدة، فإن الفرقة لا تأتي إلا بشر، وإن النزاع لا يعقبه إلا الفشل.

ويحكي مسلم في صحيحه واقعة تصور هذا المعنى وتحدده تحديدًا دقيقًا فيقول: بعث رسول الله ﷺ سرية واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا..

فأغضبوه في شيء، فقال: اجمعوا لي حطبًا فجمعوا له، ثم قال: أوقدوا نارًا، فأوقدوا، ثم قال: ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لي وتطيعوا؟!

فقالوا: بلى. فال: فادخلوها..

فأراد ناس أن يدخلوها، وقال الآخرون: إنا قد فررنا إلى رسول الله ﷺ من النار..

أي أن الناس انقسموا فريقين، فريقًا أخذ الأمر على ظاهره وغفل عن حكمته وحاول أن يلقي بنفسه في النار استجابة لنداء هذا الأمير الغاضب. وفريقًا تعقل الحكمة وأن الإمارة قيادة وليست طغيانًا، فرفض بإصرار مطلب أميره الغاضب،

(1) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

فكانوا كذلك حتى سكن الغضب وطفئت النار.

فلما رجعوا إلى رسول الله ﷺ ذكروا له ذلك، فقال عليه الصلاة والسلام للذين أرادوا أن يدخلوها: «**لو دخلتموها لم تزالوا فيها إلى يوم القيامة**، وقال للآخرين قولا حسنًا، ثم قال: **لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف**».

وهكذا علمنا رسول الله ﷺ أن نفقه الأمر ونعي الحكمة، وأن نكون على بصيرة في حياتنا..

ومن طريف ما يروى في احترام الأمير وطاعته ما أخرجه مالك عن ابن أبي مليكة قال: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرّ بامرأة مجذومة وهي تطوف بالبيت، فقال لها: يا أمة الله، **لا تؤذي الناس لو جلست في بيتك!!**

فاستجابت المرأة وجلست في بيتها لم تخرج لمجتمعات الناس كنوع من الحجر الصحي حتى مر بها رجل بعد موت عمر فقال: إن الذي كان نهاك قد مات فاخرجي!!

فقالت المرأة الحكيمة: ما كنت لأطيعه حيًا وأعصيه ميتًا!!!.

* * *

فلسفة القضاء

أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أم سلمة زوج النبي ﷺ: أن رسول الله سمع جلبة خصم بباب حجرته، فخرج إليهم فقال: **إنما أنا بشر وإنه يأتيني الخصم فلعل بعضهم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صادق فأقضي له، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليحملها أو يذرها**».

نحن هنا أمام ثلاث قضايا أساسية في فلسفة القضاء:

أولا: قوله ﷺ: (إنما أنا بشر) والمقصود التنبيه على أن الحاكم أو القاضي لا يعلم الغيب ولا يطلع على بواطن الأمور وإنما يحكم بين الناس بالظاهر وما استقر عليه غالب ظنه واطمئن إليه قلبه، والله يتولى السرائر، ولذا قال رسول الله ﷺ للزوجين المتلاعنين: «**حسابكما على الله، أحدكما كاذب**».

ثانيا: قوله عليه الصلاة والسلام: (فلعل بعضهم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صادق فأقضي له) هنا تظهر أهمية الدفاع والمرافعة والمحاماة، فإن كل خصم مهمته أن يظهر بينته وما يؤيد دعواه.. فإن الدعوى بغير دليل لا قيمة لها، ولذا قال الرسول ﷺ: «**لو يعطى الناس بدعواهم لادعى قوم دماء قوم وأموالهم ولكن البينة على المدعى واليمين على من أنكر**».

وما على القاضي إلا أن يتفطن لبينة كل من الخصمين، وأن يجتهد في التعرف على الحق والعدل، وأن يتحرى الدقة البالغة في جوانب الدعوى كلها، ثم بعد ذلك يصدر حكمه الذي توافرت له أسباب القوة واليقين.

ثالثًا: قوله ﷺ: «**فمن قضيت له بحق ملسم فإنما هي قطعة من النار فليحملها أو يذرها**».

هذا القول الكريم يضعنا أمام نقطة مهمة وهي ليس كل حكم قضائي عدلا وصدقًا في الواقع ونفس الأمر، بل القضية مرهونة بالاجتهاد والتحري والتثبت، ولذا قال عليه الصلاة والسلام: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر**». قال الإمام النووي[1]:

وقد أجمع المسلمون على أن هذا الحديث في حاكم عالم أهل للحكم، فإن

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٢، ص١٣.

أصاب فله أجران: أجر اجتهاده وأجر إصابته، وإن أخطأ فله أجر اجتهاده، وأما من ليس بأهل للحكم فلا يحل له أن يحكم، فإن حكم فلا أجر له بل هو آثم ولا ينفذ حكمه، سواء وافق الحق أم لا؟ لأن إصابته اتفاقية ليست صادرة على أصل شرعي، فهو عاص في جميع أحكامه، سواء وافق الصواب أم لا، وهي مردودة كلها، ولا يعذر في شيء من ذلك.

وقد جاء في الحديث من السنن: «**القضاة ثلاثة: قاض في الجنة واثنان في النار، قاض عرف الحق فقضى به فهو في الجنة، وقاض عرف الحق فقضى بخلافه فهو في النار، وقاض قضى على جهل فهو في النار**».

وقوله ﷺ: «**فليحملها أو يذرها**» تجعل تبعة الحكم بعد صدوره في عنق من حكم له فهو أدرى الناس بموقفه حقًا كان أو باطلا، فمن صدر له حكم قضائي على وجه الخطأ بحيث يستحل به مالا حرامًا أو يقتطع به حق أخيه، فإنما يأكل في بطنه نارًا وسحتًا وسيلقى جزاء بغيه وظلمه أمام الله أحكم الحاكمين.

ومن المعلوم في فقه الشريعة أن حقوق العباد لا تسقط بالتقادم وأن من أخذ أموال الناس ظلمًا لا تقبل له توبة، ولا يرفع له عمل صالح ولا يستجاب له دعوة حتى يرد الحقوق لأصحابها أو يستسمحهم فيها.

وقد قال الرسول ﷺ كما في البخاري: «**من كانت له مظلمة لأخيه من عرض أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل ألاَّ يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه**».

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أخذ من الأرض شيئًا بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين**».

ونذكر المشتغلين بالمحاماة بأهمية الكلمة وقيمتها بحيث يكون شعارهم قول رسول الله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**».

وقوله عليه الصلاة والسلام: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالاً يهوي بها في جهنم**».

صلى الله وسلم وبارك على هذا النبي العظيم.

قانون من أين لك هذا؟

أخرج مسلم في صحيحه عن أبي حميد الساعدي قال: استعمل رسول الله ﷺ رجل من الأسد يقال له (ابن اللتبية) على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا لي أهدي لي، فقام رسول الله ﷺ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: ما بال عامل أبعثه فيقول: هذا لكم وهذا أُهدي لي، أفلا قعد في بيت أبيه أو في بيت أمه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا، والذي نفس محمد بيده لا ينال أحدكم منها شيئًا إلا جاء يوم القيامة يحمله على عنقه، بعير له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر (تصيح).

ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي إبطيه (بياض إبطيه) ثم قال: «**اللهم هل بلغت**»؟!!.

يضعنا رسول الله ﷺ على جادة الطريق أمام موقف قلما يسلم منه إنسان ذو منصب، فإن المناصب إنما جعلت لخدمة الناس والسعي في حوائجهم، ومن تقلد أمرًا من أمور المسلمين فهو خادمهم في ذلك الأمر حتى يحسنه ويتمه على أكمل وجه.

وليست المناصب لجمع ثروة أو السيطرة أو الجاه، فإن الله تعالى سائل كل إنسان عما استرعاه.

وبعض الناس يتخذ من موقعه في السلطة مغنمًا ،ويتبارى الناس في كسب وده بالرشوة المقنعة التي يسمونها هدية، وهي في الواقع سحت ومال خبيث يأكله في بطنه نارًا، والمقصود من تلك الرشوة التوسل إلى صاحب الجاه في استقطاع حق الغير أو الحصول على ما لا يستحقه المهدى.

وآية ذلك أنه لو تولى المنصب شخص آخر لسلمت الرشوة المقنعة إلى ذلك الغير، فهي مرتبطة بالمنصب ولا علاقة لها بمحبة من يتولى المنصب لذاته.

وهنا نجد قولة رسول الله ﷺ: «**أفلا قعد في بيت أبيه أو بيت أمه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا؟!**»

نجد هذه القولة حكمة بالغة.

ثم توعد رسول الله ﷺ كل من تسول له نفسه طمعًا أو جشعًا أن يستولى على ما لا يستحقه ــ توعده بالهوان يوم القيامة والخزي أمام الأشهاد، حيث يحمل على عنقه كل رشوة وصلت إليه خضوعًا وهوانًا.

وفي هذا الموقف من رسول الله ﷺ مع عماله قدوة حسنة لأولياء أمور المسلمين أن يحاسبوا عمالهم ووزراءهم وأصحاب كل منصب ويطبقوا عليهم قانون من أين لك هذا؟!.

وقد التزم المسلمون الأولون بهذا القانون الإسلامي التزامًا دقيقًا حتى أخرج ابن سعد أن عائشة رضي الله عنها جاءت إلى أبي بكر رضي الله عنه وهو يعالج ما يعالج الميت ونفسه في صدره، فتمثلت هذا البيت:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر

فنظر إليها كالغضبان ثم قال: ليس كذاك يا أم المؤمنين: ولكن: «وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد». ثم قال: إني قد كنت نحلتك حائطًا وإن في نفسي منه شيئًا فرديه إلى الميراث.

قالت: نعم، فرددته.

فقال: أما إنا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم دينارًا ولا درهمًا ولكنا قد أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا، وليس عندنا من فيء المسلمين قليل ولا كثير إلا هذا العبد وهذا البعير الناضح[1]، وجرد هذه القطيفة[2]، فإذا مت فابعثي بهنّ إلى عمر وابرئي منهن.

ففعلت، فلما جاء الرسول عمر بكي حتى جعلت دموعه تسيل في الأرض ويقول: رحم الله أبا بكر، لقد أتعب مَنْ بعده، رحم الله أبا بكر، لقد أتعب مَنْ بعده.. يا غلام ارفعهن.

فقال عبد الرحمن بن عوف: سبحان الله، تسلب عيال أبي بكر عبدًا حبشيًا وبعيرًا ناضحًا وجرد قطيفة ثمن خمسة الدراهم؟!!

قال عمر: فما تأمر؟ قال عبد الرحمن: تردهن على عياله.

فقال عمر: لا والذي بعث محمدًا ﷺ بالحق، لا يكون هذا في ولايتي أبدًا.. ولا خرج أبو بكر منهن عند الموت وأردهن أنا على عياله. الموت أقرب من ذلك!!.

وهكذا تعلم الصحابة في مدرسة النبوة المثالية.

---

(١) الناضح: الذي يستقى عليه الماء. (٢) أي انجرد حملها وخلقت.

المؤاخاة

تمخض عن هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة مؤاخاة فريدة بين المهاجرين أهل مكة والأنصار أهل المدينة، فقد جمع بينهم رسول الله ﷺ بلا وشيجة قربى أو رحم، وشارك المهاجر الأنصاري في ماله، يقتسمه معه عن طيب خاطر، محبة لله ومحبة في الله، في إطار عزة الإيمان وأخوة المؤمنين.

ومن أمثلة التسامي والإيثار ما رواه البخاري قال: «قدم عبد الرحمن بن عوف فآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، وعند الأنصاري امرأتان، فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله، فقال له عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك.. دلوني على السوق، فأتى السوق، فربح شيئًا من أقط وشيئًا من سمن»..

وقد ظل عبد الرحمن بن عوف يمارس تجارته حتى كان من أغنى الناس حلالا طيبًا.

وفي رواية صحيحة يقول: فلقد رأيتني ولو رفعت حجرًا لرجوت أن أصيب ذهبًا أو فضة.

هذا ولم تكن المؤاخاة خاصة بالمهاجرين والأنصار، بل وقعت مؤاخاة بين المهاجرين بعضهم بعضًا، فكان رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب أخوين، وكان حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة أخوين.

ولم تقتصر المؤاخاة على الحاضرين وقتها بالمدينة، بل آخى الرسول ﷺ بين جعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل، وكان جعفر غائبًا بأرض الحبشة.

وترتب على هذه الأخوة الدينية ما يترتب على النسب في الميراث، وقد سجل القرآن العظيم هذا الشرف للأنصار فقال: ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾[1].

ولما عز الإسلام واجتمع الشمل واستقر المسلمون المهاجرون في المدينة بعد بدر الكبرى، نزل حكم الله يرد الميراث إلى ذوى الأرحام، فقال تعالى: ﴿ **وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ**

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٩.

بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾(١).

ثم جعل الله تعالى المؤمنين كلهم إخوة فقال: **﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾**(٢) يعني في التواد والتراحم والمحبة.

والذي نفقهه من ذلك أن صدق الإيمان وحرارة اليقين من شأنه أن يجعل المسلم حريصًا على إخوانه، بارًا بأصحابه، ودودًا للناس.. **وأن المحبة في الله ولله هي القانون الذي لا يحتاج إلى من يقوم على حراسته، لأنه في سويداء قلب المؤمن ليلاً** ونهارًا، رآه الناس أو لم يروه؛ **فهو يتعامل مع الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفى** الصدور.

والإيمان - وحده - هو الذي ينظم معاني الأخوة، وقرابة الرحم، وكرامة الإنسان، والتعاون التام، وينسق بينها، ويقدمها في أحسن صورة وأجلاها، فهو يسعى إلى تربية النفس وتأصيل مبادئ الخير فيها، واستحثاثها، غيرة على الحق لا تعرف الملق، وخدمة للآخرين لا يشوبها منّ ولا أذى، ونصرة للضعفاء وذوي الحاجات، لا تعرف خورًا أو تفريطًا.. قال الله تعالى: **﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾**(٣).

فالحس الاجتماعي المؤمن غير متأثر بالعاجل من المنافع، بل يولي وجهه شطر غايات أرحب، ألا وهي ما يفهم من قوله تعالى: **﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾**(٤).

إن خير ما يرسخه الإيمان في النفس هو الصفاء.. وعن هذه القيمة يحدثنا أنس - كما رواه أحمد - قال: كنا جلوسًا مع رسول الله ﷺ فقال: **«يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة»**، فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد علق نعليه بيده الشمال.

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٧٥ .

(٢) سورة الحجرات ، الآية : ١٠ .

(٣) سورة النساء، الآية : ١١٤ .

(٤) سورة الإنسان، الآية: ٩ .

فلما كان الغد قال رسول الله ﷺ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان في اليوم الثالث قال رسول الله ﷺ مثل مقالته أيضًا، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى.

فلما قام رسول الله ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: إني لاحيت أبي فأقسمت أني لا أدخل عليه ثلاثًا، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت، قال: نعم، قال أنس: فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئًا، غير أنه إذا تقلب على فراشه ذكر الله وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر.

قال عبد الله : غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرًا، فلما مضت الليالي الثلاث وكدت أحتقر عمله قلت: يا عبد الله، لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فطلعت أنت الثلاث مرات، فأردت أن آوى إليك لأنظر ما عملك فأقتدي به، فلم أرك تعمل كبير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ ؟!

قال الرجل: ما هو إلا ما رأيت.

فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشًا ولا أحسد أحدًا علي خير أعطاه الله إياه.

قال عبد الله للرجل: فهذه التي بلغت بك وهي التي لا تطاق!!.

* * *

المداينة

تحكي كتب الصحاح أن رسول الله ﷺ استسلف من رجل بكرا فقدمت عليه إبل من إبل الصدقة، فأمر أبا رافع أن يقضي الرجل بكره، فرجع إليه أبو رافع فقال: لم أجد فيها إلا خيارًا رباعيًا، فقال: «**أعطه إياه، إن خيار الناس أحسنهم قضاء..**».

فهذا رسول الله ﷺ يستقرض ويأخذ دينًا، والدين هنا كان بكرًا من الإبل صغيرًا، وعندما حان موعد الرد أعطى للدائن رباعيًا وهو من الإبل ما استكمل ست سنين ودخل في السابعة، أي أنه زاده أكثر من حقه، وقال توجيهًا لعامة المسلمين: «**إن خيار الناس أحسنهم قضاء**».

وقال الإمام النووي: (يستحب لمن عليه دين من قرض وغيره أن يرد أجود من الذي عليه، وهذا من السنة ومكارم الأخلاق، وليس هو من قرض جر منفعة فإنه منهي عنه، لأن المنهي عنه ما كان مشروطًا في عقد القرض، ومذهبنا أنه يستحب الزيادة في الأداء عما عليه، ويجوز للمقرض أخذها، سواء زاد في الصفة أو في العدد)[1].

وكان ﷺ أحيانًا يرهن للمداينة كنوع من ضمان حق الدائن، لأن الديون إما أن تكتب وإما أن يرهن لها.. وفي الصحيح عن عائشة ﵂ قالت: اشترى رسول الله ﷺ من يهودي طعامًا بنسيئة - وفي رواية إلى أجل - ورهنه درعًا له من حديد.

وفي هذا الحديث جواز معاملة أهل الذمة، وقد يتساءل إنسان ويقول: ألم يكن في المسلمين من يشتري منه الرسول ﷺ؟ والجواب: أن هناك حكمًا كثيرة لهذه المعاملة، فهي بيان للجواز تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾[2].

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١١، ص٣٧.
(٢) سورة الممتحنة، الآية: ٨.

كما أن فيها نوعًا من التسامي وعفة النفس وكرم الهمة، لأن الصحابة قد لا يأخذون رهنًا من الرسول ﷺ، بل قد لا يقبضون منه الثمن، فعدل إلى معاملة اليهودي لئلا يضيق على أحد من أصحابه.

وفي هذه المعاملة جواز الرهن حضرًا وسفرًا، وهو رأى جمهور العلماء إلا مجاهدًا وداود قالا: لا يجوز الرهن إلا في السفر تعلقًا بقوله تعالى: ﴿**وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ**﴾[1]، وليس بشيء، فقوله: «على سفر» ليس شرطًا ولا قيدًا وإنما هو لبيان حالة غالبة يعسر معها توافر الكاتب والشهيد.

والرهن مقصود به استيفاء الدين عند تعذر الوفاء، وليس لصاحب الدين أن ينتفع بالمرهون حال العقد.

هذا وقد كان ﷺ كثيرًا ما يستعيذ بالله من الدين وغلبته، وكان يرشد الناس قائلا - كما في صحيح البخاري -: «**من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله**».

فشأن المسلم أن يسعى لإبراء ذمته وأداء الحقوق لأصحابها.. وفي تحذير شديد يقول عليه الصلاة والسلام: «**روح المؤمن مرهونة بدينه حتى يؤدى عنه**» أي محبوسة عن النعيم الذي لها في الآخرة حتى يقضى ما على صاحبها من دين.

وفي إطار هذا الحرص على إعطاء كل ذي حق حقه كان ﷺ في صدر الإسلام لا يصلى على من مات وعليه دين، زجرًا للناس عن الاستدانة وإهمال وفاء الديون، ويأمر أصحابه بالصلاة عليه، فلما فتح الله عليه البلاد وجاءت الغنائم صار يصلى عليه ويقضي دين من لم يخلف وفاء. وجاء في الصحيحين قوله عليه الصلاة والسلام: «**ما من مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة، اقرءوا إن شئتم قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾[2] فايما مؤمن مات وترك مالاً فليرثه عصبته من كانوا،**

(١) سورة البقرة، الآية ٢٨٣.
(٢) سورة الأحزاب، الآية ٦.

ومن ترك دينًا أو ضياعًا – أي عيالا محتاجين- فليأتني فأنا مولاه».

ومن جهة أخرى فالإسلام حريص على الرحمة والإحسان والتكافل الاجتماعي، فإذا كان هنا الرسول ﷺ يؤكد أهمية أن يتخلص الإنسان من دينه ويوفيه تمامًا وعلى أحسن وجه، فهناك توجيه آخر لصاحب الدين أن يترفق ويراعي حال المدين يسرًا وعسرًا.

وذات يوم سمع رسول الله ﷺ صوت خصوم بالباب عالية أصواتهما، وإذا أحدهما يستوضع الآخر ويسترفقه في شيء وهو يقول: والله لا أفعل، فخرج رسول الله ﷺ عليهما فقال: **«أين المتألى على الله لا يفعل المعروف؟!»** قال: أنا يا رسول الله، فله ، أي ذلك أحب.

وقبل الرجل شفاعة الرسول الكريم ﷺ وتنازل عن بعض حقه.

وإلى هذا المعنى يشير قوله تعالى: **﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**(١).

وفي سورة البقرة آية المداينة، وهي أطول آية في القرآن وهي ترشد المؤمنين إلى امتثال ما شرع الله من كيفية كتابة الدين والإشهاد عليه، وعدم الإضرار بكاتب أو شهيد، وقد تضمنت الآية أكثر من عشرة أوامر ونواه ، وهي :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾.

فالمعاملات المؤجلة تكتب توثيقًا وحفظًا، حتى لا تضيع الحقوق، فالغيب لا يعلمه إلا الله، وربما وافاه الأجل أو أقعده المرض فتكون الحقوق محفوظة، ومن النوادر أن بعض السلف قال يومًا لأصحابه: هل تعلمون مظلومًا دعا ربه فلم يستجب له؟!.

قالوا: كيف يكون ذلك؟!.

قال: رجل باع بيعًا إلى أجل فلم يشهد ولم يكتب، فلما حل ماله جحده صاحبه، فدعا ربه فلم يستجب له لأنه قد عصى ربه.

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٨٠ .

﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾.

أي بالقسط والحق، ولا يكتب إلا ما اتفق عليه من غير زيادة ولا نقصان.

ثم أرشد الله عباده الذين يعرفون أصول كتابة الديون فقال:

﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾.

أي لا يمتنع، فإن من علم شيئًا يحتاجه الناس وجب عليه تقديمه لهم.

ثم بين سبحانه أن الكاتب إنما يكتب ما يمليه عليه المدين وهو من في ذمته الدين، فهو الذي يقر ويسجل على نفسه، فقال:

﴿فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾.

ثم توجه الله تعالى للمدين بأن يبرئ ذمته ويخشى الله ولا يكتم شيئًا فقال: **﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا﴾**.

فإن كان هناك عذر يمنع المدين من الإملاء على الكاتب – كأن يكون صغيرًا أو مجنونًا أو محجورًا عليه – تولى ذلك عنه وليه، فقال تعالى: **﴿فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾**.

وبعد ذلك أمرت الآية بالإشهاد مع الكتابة، لزيادة التوثيق، واشترطت أن يكون الشهود رجلين أو رجلا وامرأتين، فقال: **﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾**.

ثم عللت الآية ضرورة المرأتين في مقابل الرجل بقوله سبحانه: **﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾**.

ومعنى **﴿تَضِلَّ﴾** : تنسى، فطبيعة المرأة أنها لا تهتم بشئون المعاملات الخارجية.

ثم أكدت الآية على ضرورة تحمل الشهادة وأدائها، فإنها دين في عنق صاحبها والله سائله عنها، فقالت: **﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾**

وقد حذرنا الإسلام من شهادة الزور وقول الزور، وجعله من أكبر الكبائر. .

وفي صحيح البخاري أن الرسول ﷺ قال: **«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟!** قلنا: بلى

يا رسول الله قال: **الإشراك بالله وعقوق الوالدين**.. وكان متكئًا فجلس فقال: **ألا وقول الزور وشهادة الزور.. ألا وقول الزور وشهادة الزور**.. فما زال يكررها حتى قالوا: لا يسكت».

ثم تواصل الآية الكريمة الحديث عن حقوق الدائن والمدين، والكاتب والشهود، وكيفية المعاملات المالية.. وكان ختامها:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

أي راقبوا الله، واتبعوا أمره، وحافظوا على حدوده التي بينها لكم، فإن الله سبحانه هو الذي يرشدكم ويبين لكم أصول معاملاتكم وقواعد حياتكم المثلى ومجتمعكم الفاضل.

* * *

المؤلف في سطور

دكتور / محمد سيد أحمد المسير

- أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر.
- عمل أستاذًا مشاركًا، ثم رئيسًا لقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية في كلية التربية - فرع جامعة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة ١٩٨٣ - ١٩٨٧م.
- أعير أستاذًا في كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٩٩٣ - ١٩٩٨م.
- شارك في عضوية المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف.
- شارك في عضوية جمعية الدراسات الإسلامية بالزمالك.
- يشارك في عضوية الجمعية الفلسفية المصرية.
- يكتب المقالات في المجلات والصحف الإسلامية في مصر والعالم الإسلامي.
- يشارك في البرامج الإذاعية والتليفزيونية لمصر والعالم.
- كان الأول على طلاب الجمهورية في الشهادة الإعدادية عام ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م. من معهد شبين الكوم.
- كان السادس عشر على طلاب الجمهورية في الثانوية الأزهرية عام ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م، وكانت المرحلة الثانوية يومئذ خمس سنوات.
- حصل على تقدير ممتاز مع مرتبة الشرف في الشهادة العالية من قسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بالقاهرة عام ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.
- حصل على الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى من جامعة الأزهر عام ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

• شارك في المؤتمرات والملتقيات الفكرية مثل:

- المؤتمر الحادي عشر لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر في رجب ١٤٠٨ هـ.
- ندوة الفقة الإسلامي في سلطنة عمان في شعبان ١٤٠٨ هـ.
- الموسم الثقافي لشهر رمضان في دولة الكويت ١٤٠٩ هـ.
- الندوة القومية لمواجهة الدس الشعوبي في بغداد من ٢٢-٢٤ لشهر جمادى الأولى ١٤١٠هـ.
- المؤتمر الإسلامي العالمي لمناصرة العراق المنعقد في بغداد، في شهر ذي القعدة ١٤١٠ هـ «قبل الغزو».
- المؤتمر القومي الذي نظمه المركز العربي للإعلام بالقاهرة تحت عنوان «الإدمان قضية العصر» من ١٨-٢٠ من فبراير ١٩٩٠ م
- المؤتمر الإسلامي العالمي لمناقشة أزمة الخليج، الذي نظمته رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة من ٢١-٢٣ صفر ١٤١١ هـ.
- الندوة العالمية لمناقشة حقوق الإنسان بين الإسلام والغرب، في طهران بتاريخ ٩ - ١٢ سبتمبر ١٩٩١م.
- المهرجان الإسلامي العالمي في الكويت للإفراج عن الأسرى والمحتجزين في سجون العراق من ١٩-٢١ يناير ١٩٩٢م.
- الموسم الثقافي لشهر رمضان في دولة الإمارات العربية المتحدة ١٤١٢هـ.
- ندوة الإعلام الإسلامي بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل، التي نظمتها مؤسسة «اقرأ» الخيرية، بالتعاون مع جامعة الأزهر في ذي القعدة ١٤١٢هـ - مايو ١٩٩٢ م.
- سافر مع وزير الأوقاف المصري ضمن وفد رسمي لزيارة دول الكومنولث الإسلامية بتاريخ ١٣ - ٢٥ سبتمبر ١٩٩٢ م.

- المؤتمر الثاني عشر لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر من ٢-٥ لشهر جمادى الأولى سنة ١٤١٣ هـ.
- مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم الذي نظمته رابطة الجامعات الإسلامية بالاشتراك مع جامعة الأزهر سنة ١٤١٣ هـ.
- الندوة العلمية «في قلب الشرق: قراءة معاصرة لأعمال لوي ماسنيون»، والتي نظمها قسم الفلسفة بكلية الآداب - جامعة القاهرة مع المركز الفرنسي للثقافة والتعاون يومي ١٤ ، ١٥ / ٣ / ١٩٩٩ م.
- المؤتمر الدولي الرابع للفلسفة الإسلامية في كلية دار العلوم - جامعة القاهرة تحت عنوان «الإسلام في عصر العولمة» بتاريخ ١٨، ١٩ من المحرم ١٤٢٠ هـ - ٤، ٥ من مايو ١٩٩٩م.
- ندوة «الفساد الاقتصادي - الواقع المعاصر والحل الإسلامي» التي أقامها مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر بتاريخ ٢٢ : ٢٣ من مارس ٢٠٠٠م.
- المؤتمر الدولي الخامس للفلسفة الإسلامية في كلية دار العلوم - جامعة القاهرة، تحت عنوان «الإسلام وحوار الحضارات» بتاريخ ٢٧ / ٢٨ من المحرم ١٤٢١ هـ - ٢، ٣ من مايو سنة ٢٠٠٠م.
- المؤتر الدولي السادس للفلسفة في كلية دار العلوم تحت عنوان «الإسلام ومشروعات النهضة الحديثة» ١ ,٢/ ٤/ ١/ ٢٠٠١م.
- الندوة الثامنة للإعجاز العلمي في القرآن الكريم بجامعة جنوب الوادي ١٥-١٧/ ٤/ ٢٠٠٢م.
- المؤتمر الدولي السابع للفلسفة الإسلامية في كلية دار العلوم - جامعة القاهرة تحت عنوان «الإسلام والغرب» بتاريخ ٢٠-٢١/ ٤/ ٢٠٠٢م.

* * *

كتب للمؤلـــف

• في العقيدة :

١- في نور العقيدة الإسلامية .

٢- أدب الحديث عن الله .

٣- علم التوحيد للشهادة الإعدادية الأزهرية .

٤- التمهيد في دراسة العقيدة الإسلامية .

٥- الإلهيات في العقيدة الإسلامية . «دار الاعتصام» .

٦- الشفاعة في الإسلام . «مطبعة الكيلاني» .

٧- النبوة المحمدية : دلائلها وخصائصها . «دار الاعتصام» .

٨- الرسالة والرسل في العقيدة الإسلامية «مكتبة الصفا» .

• في الفلسفة :

٩- الروح في دراسات المتكلمين والفلاسفة . «دار المعارف» .

١٠- المجتمع المثالي في الفكر الفلسفي وموقف الإسلام منه . «دار المعارف» .

١١- قضايا إنسانية في الفكر الديني والفلسفي . «مكتبةالصفا» .

١٢- قيم أخلاقية من القرآن والسنة «مكتبة الصفا» .

١٣- قضايا الفكر الإسلامي المعاصر «مكتبة نهضة مصر» .

• في الأديان :

١٤- المدخل لدراسة الأديان . «دار الندى» .

١٥- أصول النصرانية في الميزان . «مكتبة الصفا» .

١٦- أوروبا والنصرانية .

١٧- المسيح ورسالته في القرآن . «مكتبة الصفا» .

١٨- عبادة الشيطان في البيان القرآني والتاريخ الإنساني . «دار الوفاء» .

• في الفرق الإسلامية :

١٩- الحوار بين الجماعات الإسلامية .

٢٠- مقدمة في دراسة الفرق الإسلامية «مكتبة النهضة المصرية» .

٢١- قضية التكفير في الفكر الإسلامي .

• في السيرة النبوية والحديث الشريف :

٢٢- الرسول في رمضان . «مكتبة الصفا» .

٢٣- الرسول حول الكعبة . «مكتبة الصفا» .

٢٤- الرسول والوحي(١) .

٢٥- الرسول وقضايا المجتمع . «مكتبة الصفا» .

٢٦- الرسول والموافقات . «المؤسسة العربية الحديثة» .

٢٧- وعندئذ قال الرسول . «دار المعارف» .

٢٨- أيسر البيان في شرح الحكمة النبوية . «دار الندى» .

• في الشريعة الإسلامية :

٢٩- محاورة تطبيق الشريعة . «المؤسسة العربية الحديثة» .

٣٠- نحو دستور إسلامي . «دار الندى» .

٣١- أخلاق الأسرة المسلمة . «دار الندى» .

٣٢- العبادات في الإسلام .

(١) صدر في طبعة جديدة بعنوان: النبوة المحمدية .

- **تحقيق مؤلفات فضيلة الدكتور / سيد أحمد رمضان المسير -رحمه الله تعالى- :**

٣٣- السنة مع القرآن . «دار الندى» .

٣٤- السنة المطهرة . «المؤسسة العربية الحديثة» .

٣٥- إلزام القرآن للماديين والمليين . «المؤسسة العربية الحديثة» .

٣٦- دراسات قرآنية . «دار الندى» .

٣٧- تحقيق كـتاب : «منهج الفرقان في علوم القـرآن» لفضيلة الشيخ مـحمد علي سلامة . «مكتبة نهضة مصر» .

* * *

الفهرس

الموضوع	الصفحة

القضية الثالثة :

الرسول ﷺ والمرأة

القضية الرابعة :

الرسول ﷺ والدعوة إلى الله تعالى

الموضوع	الصفحة

القضية الخامسة :

الرسول ﷺ والشورى

القضية السادسة:

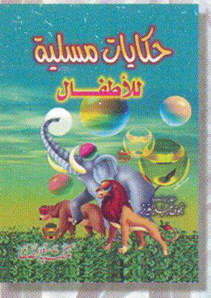
الرسول ﷺ والعدل الاجتماعي

الموضوع	الصفحة

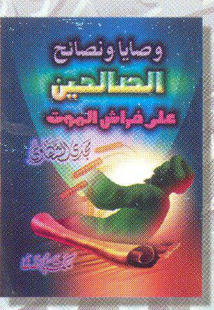
* * *



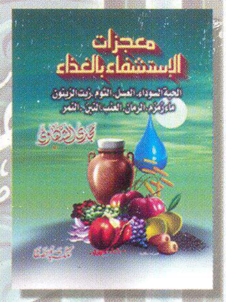
فضائل القرآن
وأحكامه
من صحيح الإمام الألباني
أحكام الجنائز



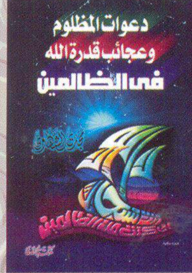
حكايات مسلية
للأطفال



وصايا ونصائح
الصالحين
على فراش الموت



معجزات
الاستشفاء بالغذاء



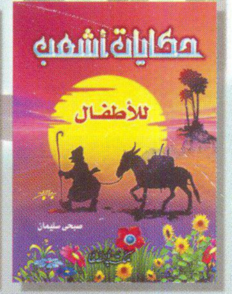
دعوات المظلوم
وعجائب قدرة الله
في الظالمين



كيف
تتخلص
من
السمنة



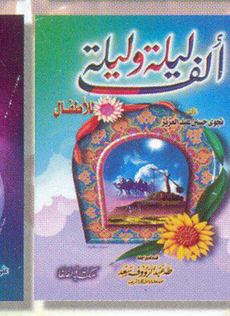
مناسك
الحج والعمرة
بنات
الصحابة
للأطفال



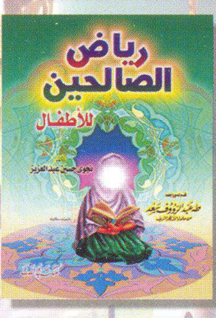
حكايات الشعب
للأطفال



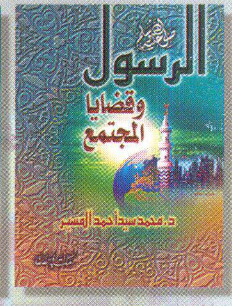
الوصايا العشر
في
القرآن الكريم
صفوت جودة أحمد



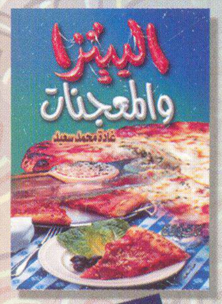
ألف ليلة وليلة
للأطفال



رياض
الصالحين
للأطفال



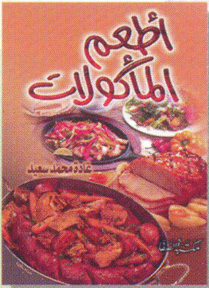
الرسول
وقضايا
المجتمع



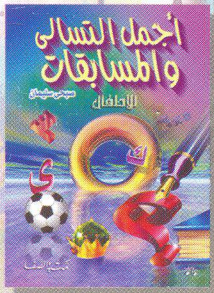
البيتزا
والمعجنات
غادة محمد سعيد



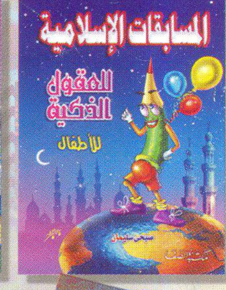
أحلى
الحلويات
غادة محمد سعيد



أطعم
المأكولات



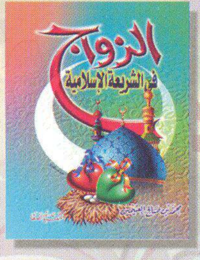
أجمل التسالي
والمسابقات
للأطفال



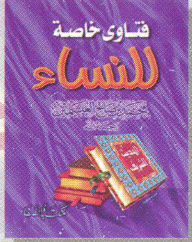
المسابقات الإسلامية
للعقول
الذكية
للأطفال



قصص
من
القرآن الكريم
55
وصية
للرسول



الزواج
في الشريعة الإسلامية



فتاوى خاصة
للنساء



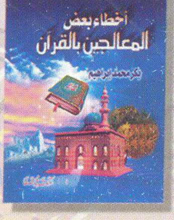
يوم الجمعة
قصص من
الحديث النبوي الشريف



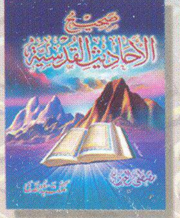
ماذا تعرف عن
القرآن والنبي



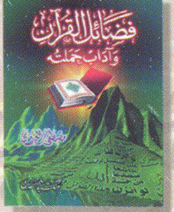
كيف
تغتسل



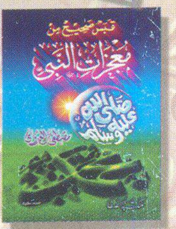
أخطاء بعض
الصالحين بالقرآن



صحيح
الأحاديث القدسية



فضائل القرآن
وآداب حملته



معجزات النبي